

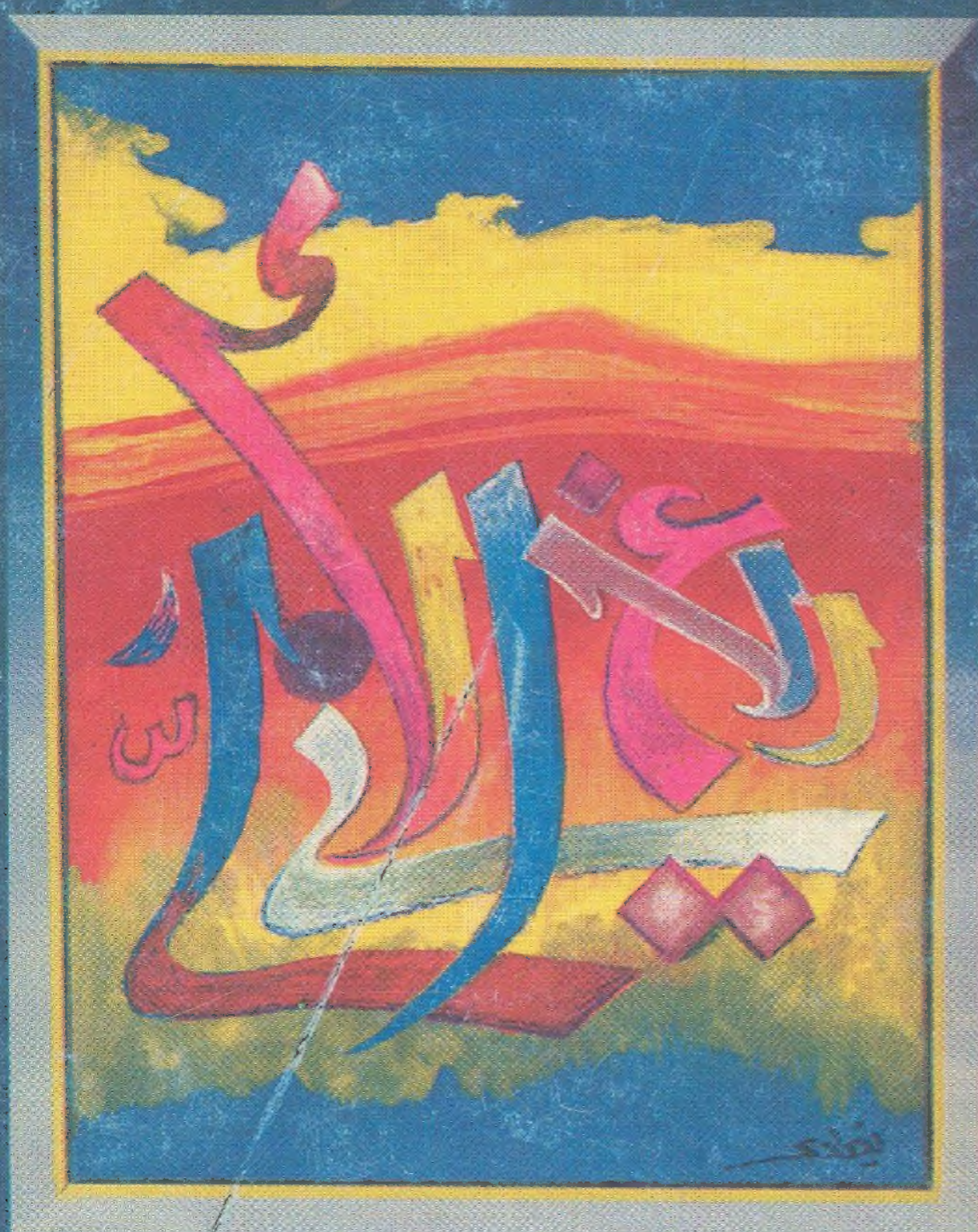
الأعمال الشعرية الكاملة

المجلد  
الأول

56



فيدريكو غرسية لوركا



المشروع القومي للترجمة

ترجمة : محمود علي مكس

الأغاني الأولى  
أغاني  
قصيدة الغناء العميق  
الديوان الفجري







# فيديريكو غرسيه لوركا الأعمال الشعرية الكاملة

( المجلد الأول )

• الأغاني الأولى

• أغاني

• قصيدة الغناء العميق

• الديوان الفجري

ترجمة وتقديم

محمود علي مكى

اعتمدنا في الترجمة العربية للدواوين الأربعة التي نقدمها  
في هذا المجلد على طبعة « الأعمال الكاملة » للشاعر فيديريكو  
غرسية لوركا ، وهي التي اضطلع بها « أرتورو دل أويو »  
ونشرتها دار أجيلار في مدريد سنة ١٩٦٢ :

**Federico Garcia Lorca : Obras completas.**

Recopilación y notas de Arturo del Hoyo , editorial  
Aguilar , Madrid , 1962 .

١ - الأغاني الأولى ( ١٩٢٢ ) Primeras canciones

٢ - أغاني ( ١٩٢١ - ١٩٢٤ ) Canciones

٣ - قصيدة الغناء العميق ( الأندلسي ) ( ١٩٢١ )

Poema del cante jondo

٤ - الديوان الفجري ( ١٩٢٤ - ١٩٢٧ )

Romancero gitano

- المجلس الأعلى للثقافة / المشروع القومي للترجمة .

- فيديريكو غرسية لوركا / الأعمال الشعرية الكاملة

( المجلد الأول )

- ترجمة / محمود علي مكي .

- الغلاف / محمد بغدادى .

- الإشراف التنفيذي / محمد عيد إبراهيم .

الطبعة الأولى / ١٩٩٨ م



F. Denis Jacin Lota



## تقديم

### - الفصل الأول:

لوركا : حياته ، آثاره ، فلسفته الجمالية .

### - الفصل الثاني :

#### أربعة دواوين للوركا :

١ - الأغاني الأولى .

٢ - أغاني .

٣ - قصيدة الغناء العميق ( الأندلسي ) .

٤ - الديوان الغجري .





## **الفصل الأول**

**لوركا : حياته ، آثاره ، فلسفته الجمالية .**







لم يتح لشاعر إسباني في القرن العشرين من الشهرة والظوة لدى القراء سواء في داخل إسبانيا أو خارج حدودها ما أتيح للوركا .

فقد كان أثناء حياته هو « الطفل المدلل » في عالم الأدب الإسباني ، وأصبح بعد مقتله هو « الشهيد المدلل » ، إذا جاز أن تنسب هذه الصفة للشهداء . ولو أن لوركا عاش في فترة ركبت فيها ريح الأدب وقصرت فيها قامات الشعراء لكان من اليسير تفسير ما بلغه شاعرنا الغرناطي من مكانة وذيوع صيت ، ولكنه ينتمى إلى جيل حفل بعدد كبير من أعظم شعراء إسبانيا ، حتى إن عصره يعد « عصرأ ذهبياً ثانياً » بعد العصر الذهبي الأول الذي يوافق القرنين السادس عشر والسابع عشر . كان من بين هؤلاء الشعراء المعاصرين للوركا : بدور ساليناس ( ١٨٩١ - ١٩٥١ ) وخورجي جيين ( ١٨٩٣ - ١٩٨٤ ) وداماسو ألونسو ( ١٨٩٣ - ١٩٩٠ ) وخيراردو دييجو ( ١٨٩٦ - ١٩٨٧ ) ورافاييل ألبرتسى ( ١٩٠٢ - ) وبيثنتى أليساندرى ( ١٨٩٨ - ١٩٨٤ ) ولويس ثرنودا ( ١٩٠٤ - ١٩٦٣ ) وغيرهم . ومن هؤلاء من نال جائزة نوبل في الأدب مثل أليساندرو ، ومنهم من بلغوا مكانة رفيعة بصفقتهم أساتذة جامعيين مرموقين ، وجميعهم امتدت بهم الحياة بعد مصرع لوركا وهودون الأربعين من عمره لعقود



طويلة حتى مشارف القرن القادم ، مثل ألبرتى الذى لا يزال حيا بعد . ومع ذلك فالأوساط الأدبية الإسبانية – بما فيها هؤلاء الشعراء أنفسهم – تعترف للوركا بأنه هو الذى حاز قصب السبق ، وبأن أحداً منهم لم يلحق غباره ، وهو اعتراف لم يقتصر على أدباء إسبانيا ، بل قاسمهم فيه أدباء أمريكا اللاتينية الناطقون بالإسبانية .

لوركا ، فى ذلك العالم الأدبى ، أشبه ما يكون بالمتنبى فى عالمنا العربى ، فقد ظهر فى عصر اتسم بنهضة أدبية هائلة ، وكان معه فى بلاط سيف الدولة عدد كبير من أعظم الشعراء ، ولكنه افاقهم جميعاً ، « فملاً الدنيا وشغل الناس » .

وهنا يحق لنا التساؤل : أترجع هذه المكانة البارزة التى تبوأها لوركا فى عالم الأدب إلى قيمة ما خلفه من آثار ؟ أم كان لمصرعه المأساوى ومادار حوله من جدل لم ينقطع حتى الآن دخل فى ذلك ؟ لقد قتل لوركا فى ظروف كان الغموض يكتنفها ومازال الكثير منها تتعاوره فروض وتفسيرات متناقضة ، بسبب مانسب إلى شاعرنا من دور فى الصراع السياسى الذى بدأ يتفجر على أرض إسبانيا متحولاً خلال أيام قليلة إلى تلك الحرب الأهلية الرهيبة التى خضبت أرض البلاد على مدى ثلاث سنوات كاملة . ومن هنا تولدت أسطورة لوركا « المناضل السياسى » الذى أصبح « استشهاد » راية يرفعها أعداء النظام السياسى الذى قدر له الانتصار فى الحرب الأهلية . ولا شك فى أن الشعبية المستفيضة التى نالتها شخصية لوركا والرواج الكبير الذى أتيح لأدبه لم يكونا بمعزل عن تلك « الأسطورة » ، غير أنه ينبغى ألا نبالغ فى هذا التفسير . فقيمة أدب لوركا فى حد ذاتها لم تكن بحاجة إلى مثل هذه التفسيرات لكى يتبوأ



المكانة الرفيعة التي جعلت منه ذلك العلم الشاهق في  
دنيا الآداب الإسبانية .

- ٢ -

« غرناطة من بين مدن الأندلس أكثرها استخداماً لصيغ  
التصغير ، إذا تحدث أهلها بهذه الصيغة فإنهم لا يهدفون في  
كلامهم بها إلى إلقاء مسحة من الظرف والطلاوة عليه ، كما  
يفعل أهل إشبيلية أو مالقة ، بل إن ألسنتهم تجرى بها في  
طبيعية يوشك التصغير معها ألا يكون له طعم . والحقيقة أن  
هذه الصيغة الشائعة في حديث الغرناطيين ، بصفة خاصة ،  
إنما هي رمز لطابع غرناطة المميز ونفسية أهلها . والتصغير  
ليس إلا تحديداً وتجزئة للوقت ... للمسافات ... للفراغ ... لكل  
شئ . فنحن في غرناطة نعيش وكأننا نود أن تكون الدنيا أقل  
اسعاً وضخامة ، ولا يكون البحر من العمق والامتداد  
بحيث هو . نحن نشعر بالرغبة في أن يكون كل ما حولنا  
صغيراً ضيقاً محدوداً .

وربما كانت علة ذلك هي أن غرناطة ليست من المدن التي  
تقع على ساحل البحر ، ولا على ضفاف نهر كبير ، فالناس في  
تلك المدن بحكم موقعها يذهبون ويجيئون ، ويرون آفاقاً  
جديدة ، أما غرناطة فتقوم على جبلها وحيدة منفردة منعزلة ،  
وكانما لا منفذ لها تطل منه على العالم إلا من أعلى ... من قبل  
السما والنجوم ! وهي لذلك زاهدة في الرحلة والمغامرة ،  
منطوية على نفسها في استكانة وقنوع هما أشبه شئ بتوكل  
المتصوفة . وفلسفة الجمال في غرناطة تقوم أيضاً على هذا  
الأساس ، فهي هنا لا تعتمد على الضخامة والجلال الذي يأخذ  
بالألباب ، وإنما على الصغر المتواضع ، والدقة المتناهية . ولهذا  
فإن الرمز الذي تجمل فيه مقاييس الجمال الغرناطية إنما هو



قصر « الحمراء » العربى ، فهو قصر صغير ليس فيه عظمة مسجد قرطبة الهائل المنيف ، ولا فخامة قصور إشبيلية الأنيقة ، ولكن جماله ينحصر فى الصغر والدقة وإحكام « توريقاته » (١) وزخارفه الهندسية التى تكاد تملأ من الفراغات . ويدلنا على ذلك أنه ليس هناك غرناطى يكاد يحس الآن بوجود القصر الضخم الذى بناه إلى جوار الحمراء ، ذلك الإمبراطور العظيم كارل الأول ( شارل كان ) حتى يخمل به حمراء غرناطة ، فمات هذا القصر ، وبقيت الحمراء رمزاً تتمثل فيه هذه المدينة بكل ماتضمنه جدرانها وبيوتها من روايب عربية وإسلامية باقية فى نفوس أهلها إلى اليوم .

وغرناطة مازالت - كما كانت فى عهدنا العربى - مدينة الفراغ والتأمل والخيال ... حيث تمر الساعات فى بقاء وتناقل مليئين بالمتعة ، وحيث يجتمع الأصدقاء ليتبادلوا الحديث ساعات على قارعة الطريق ، حيث لا يجد المقيم بها لذة أكبر من التجول بغير هدف فى شعاب حمرائها أو الاطلاع من شرفات القصر العربى على جبلها الثلجى الأبيض فى ساعات الأصيل ، ليشاهد أروع منظر لغروب الشمس ، وأبداع ألوان يمكن أن تخطها يد فنان .

مثل هذه المدينة الهائلة القانعة الكسول هى الجديدة بأن تنتج خير المتذوقين لكل ما يخطر على البال : المتذوقين لقدح من زلال الماء ، أو لمنظر غروب شمس ، أو لرنة نغم موسيقى ، أو لوقع بيت من شعر .

(١) التوريق هو الزخرفة التى اتسمت بها العمارة الأندلسية ، مستوحاة من ورق الشجر وورقات الأزهار ، وهى التى اصطلح على تسميتها فى اللغات الأوربية بالأرابيسك Arabesque لأنها من سمات الفن العربى الإسلامى بوجه عام . وقد دخل اللفظ فى المصطلح المعمارى الإيبانى فى صورة « ataurique » .



وقد كان ما تحمل عليه حياة غرناطة من العزلة والافتقار  
والتأمل جديراً بأن ينتج فلاسفة لم يأتهم الفلسفة تستلزم  
بالإضافة إلى تلك الصفات - توازناً عقلياً دقيقاً ، وجهداً مبنياً  
على منهج منظم ، وهو ما لا يمكن أن يتأقن للروح الغرناطية ،  
ولهذا فإنها تؤثر الشعراء والفنانين والمفكرين .

وهي في ذلك على عكس إشبيلية الصاخبة المبهمة  
بالعمل والمتعة معاً ، وذلك لأن متعة غرناطة وعملها إنما هما في  
أغوار النفس الغرناطية ، لا يُعبّر عنهما بقدر ما « يحسن » بهما  
إحساساً باطنياً عميقاً .

لهذا لم يكن غريباً أن نفسه المصدق وصف لغرناطة  
هو ما كتبه عنها شاعرنا الغرناطي « بيدرو سوتو دي  
روخاس " Pedro Soto de Rojas " في القرن السابع عشر ،  
حينما عاد من مدريد ، وقد امتلأت نفسه بالمرارة وخيبة الأمل  
بعد تجاربه في العاصمة :

« غرناطة ... هذا الفردوس ذو الأبواب المغلقة في وجوه  
الكثيرين ، والذي لا يعرف النعيم فيه إلا قلة أنعم الله عليهم من  
لدنه بنفحة » (١)

(١) بيدرو سوتو دي روخاس ( ١٥٨٤ - ١٦٥٨ ) : شاعر غرناطي ينتمي إلى المذهب  
الفني الذي كان إمامه لويس دي جونجورا القرطبي ، وهو الذي يجمع بين العناية بالصور  
وغرابة الاستعارات مع الاهتمام بالصياغة والأسلوب ، وأهم قصائده تلك التي أشار إليها  
لوركا بعنوان « فردوس مطلق أمام الكثيرين وحدائق مفتوحة للقليلين » ، وهي تنتمي إلى  
نوع « الروضيات » الذي أبدع فيه شعراء شرق الأندلس من أمثال ابن خفاجة وابن الزقاق  
وابن غالب البلسيين ، بما يتضمنه من وصف للرياض والأزهار .



بهذه العبارات وصف فيديريكو غرسية لوركا غرناطة التي  
قدر لهذا الشاعر العبقرى أن تكون إحدى قراها الصغيرة مسقط  
رأسه ، وهى عبارات قد تكون مستغلقة على الأجنبى الذى  
يزور غرناطة استغلاق هذه المدينة نفسها عليه ، ولكن الزائر  
العربى قد يكون أقدر على فهمها والإحساس بها من غيره .  
فغرناطة - على الرغم من أن مابقى من آثارها الإسلامية لايزيد  
على قصر الحمراء وبضعة معالم أخرى - مازالت عربية  
الشعور والتفكير ، والحمراء - كما قال هذا الشاعر الفذ -  
مازالت محور كل شئ فى الدنيا فى هذه المدينة ، هى فردوسها  
الذى أغلق فى وجوه الكثيرين ، ولم يستطع دخوله إلا أهل  
غرناطة أنفسهم ، أو سلالة أولئك العرب الذين رفعوا بنيانه !  
... وبمضى الزائر العربى فى أبهاء ذلك القصر وشرفاته  
المطلّة على المدينة ، فلا يلبث أن يتوقف أمام الأبيات التى نقشت  
على جدرانها ... أبيات ابن زمرك شاعر غرناطة فى القرن الثامن  
الهجرى ( الرابع عشر الميلادى ) حينما كانت شمس الإسلام فى  
الإندلس موشكة على الأفول :

ولله مبناه الجميل فإنه يفوق على حكم السعود المبانيا  
فكم فيه للأبصار من مستنزه تجدُّ به نفس الحليم الأمانيا  
تبیت له خمس الثريا معيذة ويصبح معتل النواسم راقيا  
به القُبَّةُ الغراء قلَّ نظيرها ترى الحسن فيها مستكنا وباديا  
تمد لها الجوزاء كف مصافح ويدنولها بدر السماء مناجيا  
وتهوى النجوم الزهر لو ثبتت بها ولم تك فى أفق السماء جواريا  
ولا عجب أن فانت الشهب فى العلا وإن جاوزت فيها المدى المتناهما



الإسلام في الأندلس موشكة على الأفول :

ولسنا نظن لوركا في جولاته الكثيرة في أبهاء ذلك القصر العربي الخالد عرف معنى هذه الأبيات ، ولا نحسب أحداً ترجمها له ، ولكن .. أليس من غريب الاتفاق ما نراه في كلمات لوركا التي نقلناها في أول هذا الحديث عن عزلة غرناطة وما ذكره من أنها تبدو كما لو لم يكن لها منفذ إلا من قبل السماء والنجوم ، ثم ما نجده في أبيات ابن زمرك من أن « النجوم الزهر » تهوى لو أنها شُدَّتْ إلى سوارى القصر ، وأن « الجوزاء » تمد لقبته كف مصافح » ، وأن « بدر السماء » يدنولها مناجياً ؟ إن الغرناطى يمر اليوم بهذه الأبيات المنقوشة على جدران الحمراء ، فلا يكاد يبين من حروفها العربية شيئاً ، ولكن ما نزعمه هو أنه يحس بها في قرارة نفسه ، كما أحس بها شاعرنا الغرناطى الذى عاش في القرن العشرين .

— ٤ —

في قرية من قرى غرناطة هي فونتي فاكيروس Fuente Vaqueros ( عين البقارين ) ولد فيديريكو غرسية لوركا في الخامس من يونيه ١٨٩٨ ، وهو ينتمى إلى أسرة من أسر الطبقة الوسطى أقرب إلى الغنى . أبوه « دون فيديريكو » فلاح قوى الشكيمة بدأ حياته يعالج في ريف غرناطة أرضاً مجدية قليلة الموارد ، ولكنه بفضل جهده وعمله المتواصل استطاع أن يجمع ثروة كبيرة ، فقد أصبح مالكا لأرض جيدة في فحس غرناطة (١) تقدر بخمسة وثلاثين هكتاراً ، وكان مستشاراً لشركة السكر ، ومن أكبر المساهمين نصيباً في ميدان مصارعة (١) فحس غرناطة La Vega de Granada هو الأرض البسيطة الخصبة في ظاهرا المدينة ، وكانت لكثرة بساتينها والتفاف النبات فيها تشبه ، على عهد المسلمين ، بغوطة دمشق .



الثيران فى غرناطة ، هذا بالإضافة إلى ضيعة كبيرة جيلة  
اتخذها القضاء وفصل الصيف . أما أمه فكانت مدرسة تركت  
عملها بعد الزواج ، وكانت تضى على ابنها الأكبر فيديريكو من  
الحنان والحب ماجعله الطفل المدلل فى أسرته وبين إخوته  
الثلاثة : فرانسيسكو الأخ الصغير والفتاتين كونتشا وإيزابيل .

وفى ١٩٠٨ قضى أولى مراحل دراسته فى المرية -Alme-  
ria ، ولكنه انتقل فى سبتمبر ١٩٠٩ مع أسرته إلى غرناطة ؛  
حيث أنهى دراسته الثانوية . وفى ١٩١٤ بدأ بدراسة الحقوق  
والآداب فى جامعة غرناطة ، كما شرع فى تعلم العزف على  
البيانو وعلى القيثارة ( العود الإسباني ) والتردد على المنتدى  
الأدبى الذى كان يعقد فى أحد مقاهى غرناطة . وفى ١٩١٧  
انتظم فى رحلة دراسية جابت مدن الأندلس وقشتالة ، وخلال  
هذه الرحلة تعرف على الشاعر أنتونيوم تشادو ، وعلى المؤلف  
الموسيقى مانويل دى فاي Manuel de Falla .

وفى ١٩١٩ انتقل إلى مدريد ؛ حيث أقام سنوات فى « بيت  
الطلبة Residencia de Estudiantes » ، وخلال هذه الإقامة  
انعقدت علاقات صداقة له بعدد من الفنانين الذين أصبحت لهم  
بعد ذلك مكانه رفيعة ، نذكر منهم المصور المشهور سلفادور  
دالى Salvador Dali والمخرج السينمائى لويس بونويل  
Luis Buñuel والشاعر مورينو بيا Moreno Villa . وفى  
السنة التالية يلتحق بكلية الآداب بجامعة مدريد ، ولكن بغير أن  
ينتظم فى الدراسة ؛ إذ إن اهتمامه ينصرف إلى المنتديات الفنية  
والأدبية ، ويتعرف خلال ذلك على الشاعر الكبير خوان رامون



خيمينث Juan Ramón Jiménez الذى يدعو له للكتابة فى  
المجلة الأدبية التى كان يصدرها : Indice ( الفهرست ) .  
وفى سنة ١٩٢٢ يعود إلى غرناطة لى ينظم - بالتعاون مع  
الموسيقى مانويل دى فاي - أول مهرجان للغناء الأندلسى .  
وفى السنة التالية يتم دراسته الجامعية للحقوق من جامعة  
غرناطة ، وإن كان اهتمامه الأكبر موجهاً لعمله الشعرى ،  
ويضيف إلى ذلك مشاركة فى فن الرسم ، وتتصل علاقات  
الصداقة بينه وبين عدد من الشعراء الشباب الذين ينظمون  
احتفالاً كبيراً فى إشبيلية بمناسبة الذكرى المئوية الثالثة لوفاة  
الشاعر القرطبى لويس دى جـونجورا Luis de Góngora  
( ١٦٢٧ - ١٩٢٧ ) ويكون هذا الاحتفال إيذاناً بمولد ذلك الجيل  
الشعرى المعروف باسم جيل ٢٧ الذى أصبح لوركا  
أبرز أعلامه .

وفى ١٩٢٨ يصدر مع عدد من أصدقائه مجلة أدبية باسم  
" Gallo ( الديك ) " لم يصدر منها إلا عدنان اثنان . وفى السنة  
التالية فى شهر مايو يبدأ رحلته الأمريكية التى تمتد على مدى  
أكثر من سنة حتى صيف ١٩٣٠ . ويمر خلال هذه الرحلة  
بباريس ولندن وأوكسفورد وإسكتلندا ومنها إلى ولاية  
كولومبيا الأمريكية ، حيث يدعى لإلقاء عدد من المحاضرات فى  
جامعة نيويورك . ويواصل الرحلة إلى كوبا ، وهناك يلتف به  
شعراؤها ، ومن أبرزهم نيكولاس جيئن Nicolás Guillén  
الذى قدر له أن يصبح شاعر الثورة الكوبية فى الستينيات .

وبعد عودته إلى إسبانيا ينجز مشروعاً كان حلم حياته منذ  
سنوات ، وهو تعريف جمهور الريف والقرى النائية الفقيرة



بروائع المسرح الكلاسيكي الإسباني ، فينشئ بمعونة عدد مريديه ما أطلق عليه اسم « مسرح الكوخ La Barraca » وهو فرقة ألفها لوركا من شباب الجامعة كانوا ينتقلون بين قرى إسبانيا على ظهر شاحنة ، فإذا حلوا بإحدى القرى نصبوا مسرحهم المتواضع لكي يقدموا عروضهم لمسرحيات لوبي دي فيجا وكالديرون وأمثالهما من مؤلفي القرنين السادس عشر والسابع عشر ، وكانت عروضاً مجانية قصدوا بها إلى تأصيل الوعي المسرحي في جماهير الريف ، وكان لوركا يقوم في هذه العروض بدور المنتج والمخرج والممثل أحياناً . وفي هذه الجولات قضى نحو سنتين ( ١٩٣١ - ١٩٣٢ ) .

وفي ١٩٣٣ ينشئ في العديد من مدن إسبانيا مجموعة من « نوادي الثقافة المسرحية » . وفي سبتمبر من هذه السنة يعود للسفر إلى أمريكا : هذه المرة إلى الأرجنتين وأورجواي ، فيعرض هناك اقتباسه لإحدى مسرحيات لوبي دي فيجا ويلقى عدداً من المحاضرات ، ويظل في هذه الجولة حتى مايو ١٩٣٤ ، إذ يعود إلى إسبانيا فيواصل جولاته مع « مسرح الكوخ » ويموت صديقه مصارع الثيران إجناسيو سانتشث ميخياس في حلبة المصارعة فيرثيه بقصيدته المشهورة .

وفي ١٩٣٥ يشترك في حفل تكريم لصديقه الشاعر الشيلي بابلو نيرودا Pablo Neruda ( الحائز على جائزة نوبل سنة ١٩٧١ ) ، ويعرض على المسرح تمثيليته « يرما Yerma » ( العاقر ) ، ويقضى شهر سبتمبر في برشلونة ،



وفى ديسمبر ينظم أصدقاءه هناك حفل تكريم له ، ويشترك فى عدة حفلات تكريمية للشاعرين رافاييل ألبرتى ولويس ثرنودا وللأديب ثاى إنكلان Valle - Inclán وهو يعد من أساتذته ، ويستعد لعرض عدد من مسرحياته . أما الأيام الأخيرة من حياته فسوف نفرد لها فيما بعد حديثا خاصا .

- ٥ -

تفتحت موهبة لوركا الشعرية فى شبابه المبكر ، فقد كتب أولى أشعاره وهو فى الثامنة عشرة من عمره ( سنة ١٩١٦ ) ، وفى السنة التالية نشر باكورة مقالاته فى مجلة المركز الفنى بغرناطة بعنوان « التخيل الرمضى » وذلك بمناسبة الاحتفال بالذكرى المئوية لميلاد خوسيه ثوريا José Zorrilla ( ١٨١٧ - ١٨٩١ ) أحد أعلام المذهب الرومانسى . وفى ١٩١٨ ينشر أول كتبه النثرية « انطباعات ومناظر » - Impresiones y paisajes . وفى ١٩٢٠ يعرض فى أحد مسارح مدريد أولى مسرحياته ، وهى « شؤم الفراشة El maleficio de la mariposa » . وفى السنة التالية ينشر أول دواوينه الشعرية وهو « كتاب القصائد Libro de poemas » ( ١٩٢١ ) . وفيما بين هذه السنة و ١٩٢٤ ينشر « قصيدة الغناء الأندلسى ( العميق ) Poema del cante jondo » وديوانيه « الأغاني الأولى » و « الأغاني Canciones » ، ويشغل فى الوقت نفسه بكتابة بعض مسرحياته ونشر عدد من القصائد فى المجلات الأدبية أو ينشدها فى المحافل والمنتديات . وفى



١٩٢٧ تبدأ الاحتفالات بالذكرى المئوية الثالثة للشاعر القرطبي جونجورا ، ويشترك فيها بمحاضرة عن « الصورة الشعرية »  
عنده ، ويعرض في أحد مسارح برشلونة مسرحية « ماريانا بينيدا Mariana Pineda » ( ويقوم المصور سلفادور دالي بإعداد ديكورات هذه المسرحية ) ، كما يعرض لوركا مجموعة من رسومه . وفي ١٩٢٨ ينشر الطبعة الأولى من « الديوان الفجري » ، على حين يعمل في إعداد بعض دواوينه الشعرية ومسرحياته . وفي ١٩٣١ بعد عودته من رحلته الأمريكية ينشر الطبعة الثانية من « قصيدة الغناء الأندلسي » .  
وفي ١٩٣٣ يعرض في مدريد مسرحيته « عرس الدم » - Bo das de sangre « وتعرض له عدة مسرحيات في بوينوس أيرس ، وفي ١٩٣٤ ينشر مسرحية « يرما Yerma » ( العاقر ) وتعرض على المسرح . وفي ١٩٣٥ ينشر مرثيته لمصارع الثيران إجناتيو سانتشيث ميخياس ، ويشترك في تحرير عدد من الصحف ، وينشر « ست قصائد جليقية Seis poemas galegos » ( باللهجة الجليقية ) ويعيد نشر عدد من دواوينه ومسرحياته السابقة ، وينتهي من تأليف آخر أعماله المسرحية ، وهو « بيت برناردا ألبا - La casa de Bernarda Alba » ، ويقضى لوركا النصف الأول من سنة ١٩٣٦ في نشاط محموم بين تأليف ومراجعة لدواوينه لإخراج طبعات جديدة لها وإعداد لعروض مسرحية ، بغير أن يدور بخلده أن شمس حياته قد أوشكت على المغيب ! ..

منذ أن لقي لوركا مصرعه فى فجر العشرين من أغسطس سنة ١٩٣٦ فى ملابسات لم يكشف النقاب عنها - آنذاك - والجدل محتدم حول تلك الواقعة الفاجعة ، غير أنه كان جدلاً عقيماً بعيداً عن الموضوعية ، فقد اتخذ مصرع لوركا سلاحاً سياسياً وشعاراً رفعه خصوم نظام الجنرال فرانكو فى الشرق والغرب على السواء ، إذ أُلقيت تبعة مقتل الشاعر الكبير على ذلك النظام ، وهى تهمة باطلة ، فلم يكن للنظام مصلحة فى قتله بالإضافة إلى أن معالم هذا النظام لم تكن قد تحددت بعد ، ولو أن الخطأ الذى ارتكبه نظام فرانكو هو أنه لم يعمل - حتى خدمة لنفسه - على كشف الملابسات الغامضة التى وقعت فيها تلك الجريمة . واتهم حزب الكتائب ( الفالانخ ) أيضاً بتدبير الجريمة ، وهى تهمة أشد بطلاناً ، فقد كان قادة هذا الحزب فى غرناطة هم على وجه التأكيد الذين بذلوا كل جهد لحماية لوركا واستنقاذه ، لا لعلاقة سياسية بين لوركا وبينهم ، وإنما لعلاقة شخصية تربطه بأسرة معروفة تنتمى إلى ذلك الحزب . وكان من نتائج البعد عن الموضوعية فى ذلك الجدل أن نسبت إلى لوركا نزعات شيوعية أو يسارية هو برئ منها ، فليس فى إنتاجه الشعرى الوفير أدنى بيئة على ذلك . بل كان لوركا شديد النفور من السياسة ، وكان أشد نفوراً من استغلال اسمه أو شعره فى الصراعات السياسية . ومع أن هذه الحقيقة كانت واضحة



فى نظر الكثرىىن من الباأىىن ، فقد اسأمر البعض فى العالم العربى - ولاسىما خلال المد الاأأراكى منذ السأىنىاء - فى أرىء ما سمعوه أو نقلوه عن بعض الأقلام الأجنبىة حول مآلل لوركاء على ىء نظام فرانكو أو على أىءى الكأأب فى غير أملكىص ولا أأقىق ، وما أكأر ما أأأأوا عن « ىسارىة » لوركاء بغير أن ىأأشمواء عواء قراءة آأاره أو مأابعة أىاءه .

وأذكر أننى كنىء قد ألقىأ مأاضرة فى رابطة الأءباء فى الكوىأ حول لوركاء : أىاءه وآأاره وأءبه بأارىأ ٢٢ / ١ / ١٩٧٥ ، وعرضأ فى هأه المأاضرة ما ذكرأه من أن مآلل لوركاء لم ىكن بسبب السىاسة ؛ لأن الشاعر نفسه لم ىكن له أى انأماء لأأب سىاسى ، ولم أكن له مشاركة فى الصراع السىاسى الذى أفعأ عنه الحرب الأهلىة منذ أواخر ىولىه ١٩٣٦ . على أن مآرر الصأفة الأدبىة فى أرىءة « السىاسة » لم ىعجبه ما قلت ، فكتب معلقاً على مأاضرأى مقالاً بأارىأ ٢٥ / ١ / ١٩٧٥ بعنوان « فى رابطة الأءباء ولد لوركاء اللامأئى » ، وفىه ىعأرض على ما ذكرأ ، وىصر على انأماء لوركاء السىاسى . فرأءأ على صأفاأ الأرىءة نفسها بمقال بعنوان « إلى أولئك المأئمن الذىن لم ىقرأوا لوركاء » ( بأارىأ ١٣ / ٢ / ١٩٧٥ ) أأ شفأأه بمقال آخر نشر فى شهر فبرأىر أأأأ فىه بالأفصىل عن هأا الموضع مسأشها فىه بكأىر من النصوص من أعمال لوركاء نفسه ، وكان قد وصل إلى علمى أن هناك كأأباً فى إسبانىاء أعاء أأأ هأه القضىة

من جديد ، وأنه بصدد إصدار كتاب يتضمن تحقيقاً مستقصياً  
لأيام لوركا الأخيرة والظروف التي أحاطت بمقتله ،  
فوعدت في مقالتي الأخير بأن أعرض ما انتهى إليه ذلك  
الباحث فور صدور كتابه . وبالفعل نشر في هذه السنة نفسها  
كتاب الباحث والمؤرخ خوسيه بيلاسان خوان بعنوان « مصرع  
لوركا : كل الحقيقة »<sup>(١)</sup> ، وهو ثمرة تحقيق استغرق عامين  
كاملين ، قام فيه الكاتب بتجميع أقوال كل من كانت لهم صلة  
بالقضية ممن بقوا على قيد الحياة ومراجعة المواد الصحفية  
التي كانت تنشر خلال الفترة التي شهدت بداية اندلاع الحرب  
الأهلية ، ثم المقارنة بين تلك المواد ومحاولة استخلاص الحقيقة  
من كل تلك الشهادات ، حتى استطاع أن يخرج هذا الكتاب الذي  
ركز البحث فيه على أيام لوركا الأخيرة منذ قدومه من مدريد  
إلى غرناطة في الثامن من أغسطس ١٩٣٦ حتى مقتله في فجر  
العشرين من هذا الشهر . ولما اتسم به هذا البحث الجديد من  
دقة وموضوعية منح كتاب بيلاسان خوان جائزة « مرآة  
إسبانيا » في نفس السنة التي صدر فيها ( سنة ١٩٧٥ ) . وقد  
وفيت بوعدي بنشر خلاصة لهذا الكتاب وما انتهى إليه من  
نتائج في مقال يحمل عنوان الكتاب نفسه ، وذلك في مجلة  
« العربي » في الكويت بتاريخ أكتوبر ١٩٧٧ . ولست أراني  
بحاجة إلى تكرار ما ذكرته في هذا المقال ، غير أنني أنوه بأن ما

<sup>(١)</sup> José Vila San Juan : Garcia Lorca asesinado : toda la verdad ,  
Barcelona, 1975.



انتهى إليه المؤلف يتفق تماماً مع ما سبق أن أوردته  
فى محاضرتى وفى مقالاتى السابقة حول لوركا وحقيقة  
مصرعه .

وإنما أطلت الحديث فى هذه القضية بسبب ما أثارتة من  
جدل طويل ، ثم لأن الحديث عن لوركا والسياسة قد شغل  
كثيراً من الناس ولا سيما فى عالمنا العربى عن أدبه وقيمة  
نتاجه الشعرى والمسرحى الذى كان أجدر بأن يستأثر باهتمام  
الأدباء ومؤرخى الأدب .

— ٧ —

لو أننا أردنا الحديث عن الفلسفة الجمالية لدى فيديريكو  
غرسية لوركا لتطلب ذلك منا صفحات كثيرة لا يفى بها هذا  
التقديم ، وقد سبق أن أشرنا إلى تأثير بيئته الغرناطية التى  
درج فى ربوعها فى تشكيل تلك الفلسفة ، على أن شاعرنا كان  
يدين قبل كل شىء للإلهام النابع من نفسه ... هذا الإلهام الذى  
كان موضوع محاضرة ألقاها فى بيت الطلبة الجامعيين سنة  
١٩٣٠ بعنوان « نظرية الجن الشعرى ومعايشتة Teoria y  
juego del duende » .<sup>(١)</sup> وكلمة duende التى يستخدمها هنا -  
وهى التى يمكن أن تترجم بـ « جن ، عفريت ، شيطان » -  
كلمة مألوفة فى الأندلس ، يطلقها الناس على العبقرية التى  
تكن فى نفس الفنان : مصارع الثيران والمغنى بصفة خاصة ،

(١) نشر نص هذه المحاضرة كاملاً فى « أعماله الكاملة » ، دار أجيلار ، مدريد ١٩٦٢

وهو الذى كثيراً ما تهديه حاسته القطرية وطبيعته الملهمة إلى الارتجال ، فلا يلبث أن يأتى بالبدائع الغريبة ، ولسنا نبعد عن الصواب إذا قلنا إن لهذا المفهوم المتأصل فى منطقة الأندلس صلة وثيقة بالتراث العربى ، فهو أشبه ما يكون بتصوير العرب الجاهليين أن للشاعر شيطاناً يوحى له بشعره ، وقد أفرد أبو زيد ابن أبى الخطاب فى كتاب « جمهرة أشعار العرب » فصلاً جعل عنوانه « فى قول الجن الشعر على ألسنة العرب » (١) ، فصلٌ فيه الحديث عن ذلك التصور ، كما أورد الجاحظ غرائب فى هذا الباب (٢) ، وقد تلقف هذا التصور أديب أندلسى موهوب هو أبو عامر ابن شهيد القرطبى (٣٨٣ - ٤٢٦ / ٩٩٢ - ١٠٣٥) فى رسالته المشهورة « التوابع والزوابع » (٣) . والطريف أن عبارات غرسية لوركاء فى تصوير هذا « الجن » الذى يرافق ملهمى الشعراء والمغنين يكاد يتفق مع ما يقوله ابن شهيد عن « توابع » الشعراء . وفى محاضرة أخرى حول « الصورة الشعرية لدى دى جونجورا » (٤) يعود للحديث

(١) الجمهرة ، تحقيق على محمد الجارى ، القاهرة ١٩٦٧ ص ٤٣-٦٢ .

(٢) الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٦٧ - ٨٠/٦ - ٨٤ ، ١٤٧ - ٢٤٨ .

(٣) النخيرة لابن بسام ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٧٩ ، القسم الأول ٢٤٥/١ - ٢٠١ .

(٤) الصورة الشعرية لدى لويس دى جونجورا ، الأعمال الكاملة ص ٦٥ - ٨٨ . وقد ألقى لوركاء هذه المحاضرة فى إطار الاحتفال بالذكرى المئوية الثالثة لوفاء جونجورا ( ١٥٦١ - ١٦٢٧ ) . وكان هذا الاحتفال الذى أقامه أولئك الشعراء الطليعيون من جيل لوركاء سنة ١٩٢٧ منطلقهم إلى تجديد الفن الشعرى .



عن الإلهام ، فنراه يتفق مع مفهوم جونجورا ومع الشاعر الفرنسي بول فاليري ( ١٨٧١ - ١٩٤٥ ) :

« يؤكد الشاعر الفرنسي العظيم فاليري أن حالة الإلهام ليست هي الحالة المثلى لكتابة قصيدة . ولما كنت أومن بهذا الإلهام الذى يمد به الله - أو الشيطان - روح الشاعر فإنى أعتقد أن نظرية فاليري غير بعيدة عن الصواب . فالإلهام يأتى للشاعر فى حالة انفعال بعيد عن حالة الخلق الفنى » . ويتبع لوركا هذا البيان بعبارات موضحة تلقى أضواءً على مفهومه للعلاقة بين الإلهام والإنتاج الشعري .

- « يجب أن نترك لصور المعانى وقتاً كافياً حتى تتضح رؤيتها » .

- « لست أعتقد أن هناك فناً يعمل وهو فى حالة حمى » .  
- « الشاعر الذى يقدم على صنع قصيدة - وأنا أعرف ذلك من تجاربي الخاصة - يمتلك إحساس الذى يتوجه فى رحلة صيد إلى غابة سحيقة البعد . فهو يشعر بخوف لا قبل له بتفسيره ، ولكن ينبغي على هذا الشاعر الصائد أن يحمل معه خريطة يعرف منها الأماكن التى عليه أن يجوبها حتى يقع على صيده » .

- « والقصيدة ليست إلا قصة هذه الرحلة فى ذلك البلد البعيد » .

- « الإلهام هو الذى يهب المضمون الشعري ، ولكن بقى بعد ذلك إلباسه ثوب الكلمات » .

فالشاعر ، إذن ، ينبغي أن يكون فى كامل وعيه عندما يقوم بعملية الخلق الفنى ، لابد أن يعرف ما يريد ويفعل ، ولابد أن تكون الصور فى ذهنه فى غاية من الوضوح . وهكذا نرى أن لوركا على إيمانه بالإلهام لا يستنيم إلى فيض هذا الإلهام ، ولا يؤمن بما يردده بعض الشعراء من أن لسان الشاعر ينطلق بالشعر سيّالاً سلساً وهو فى شبه غيبوبة . بل إن لوركا يقول فى موضع آخر : « ما أكثر ما يضطر الشاعر فى خلوته إلى إطلاق صرخات هائلة حتى يفزع الأرواح الشريرة التى تغريه بالشعر المطبوع المتدفق ... » . وربما كانت أقوال لوركا هذه لازمة لكى نتفهم إنتاجه ونضجه فى إطاره الصحيح .

وقد سبق لنا أن تحدثنا عن شعبية لوركا التى ضمنت له ذبوع شعره بين مختلف الناس على تباين أنصبتهم من الثقافة ، بل وحتى بين الجماهير التى لا تتحدث لغته ، ونشير هنا إلى جانب آخر من هذه الصفة ، هو قدرته على التعبير عن الروح الشعبية الأندلسية بما فيها من شحنة عاطفية ومأساوية هائلة ؛ فتحت كل كلمة من كلمات هذا الشاعر تنبض تلك الروح الأندلسية : الروح التى هى مزاج من كل العناصر التى اضطرعت واثقلت فى نفوس أهل الأندلس ... الأندلس التى كانت رومانية وعربية ، إسلامية ومسيحية . وهذا هو ما جعل الصراع الداخلى فى النفس الأندلسية عنيفاً شديداً ، إذ إنه



صورة لذلك الصراع التاريخي الطويل الذي اتخذ ميدانه من تلك الأرض . وكثيراً ما تطل علينا من قصائد لوركا ، لا تلك الروح الأندلسية وحسب ، بل روح غرناطة التي يحدثنا لوركا نفسه عنها حديثاً ممتعاً اقتطفنا بعض فقراته من قبل .

## الفصل الثانى

### أربعة دواوين للوركا





فى الصفحات التالية نقدم للقارىء العربى ترجمة كاملة لأربعة دواوين لشاعرنا الغرناطى تمثل مرحلة من أخصب مراحل حياته ( بين سنتى ١٩٢١ و ١٩٢٧ ) ومن أثرها بشعره الغنائى الذى توزع نتاج لوركا بينه وبين أعماله المسرحية . وقد سبق هذه المرحلة ديوانه « كتاب القصائد Libro de Poemas » ( ١٩٢١ ) الذى كان باكورة إنتاجه الشعرى . وتليها الدواوين التى أصدرها فى السنوات التسع الأخيرة من عمره ، وأهمها مرثيته لمصارع الثيران سانتشث ميخياس و « شاعر فى نيويورك » « وديوان التماريت » . فالمجموعة التى نقدم لها بهذه السطور هى المتوسطة بين المرحلتين ، وهى التى تمثل نضج الشاعر وتمكنه الكامل من أدواته .

## الأول

الديوان الأول هو « الأغانى الأولى » ( Primeras canciones ) الذى كتبه سنة ١٩٢٢ ، ولو أن تواريخ نظم قصائده ترجع إلى مرحلة سابقة فى مطلع شبابه ، بل ربما إلى سنوات المراهقة ، ومع ذلك فإن الديوان لم ينشر إلا فى سنة ١٩٣٦ ، ولم يقم لوركا بترتيب قصائده ، وإنما اضطلع بجمعها وترتيبها صديقه الشاعر مانويل ألولا جيرى وكونتشا مندث،



بل إن لوركا لم يشر إليه أدنى إشارة حينما أدلى بحديث إلى  
المجلة الأدبية « La Gaceta Literaria » في ١٥ ديسمبر  
١٩٢٨ عرض فيه قائمة بأعماله المنشورة التي ظلت مخطوطة  
لم تطبع بعد .

ومع أن قصائد هذا الديوان متفاوتة التواريخ فإن الملاحظ  
فيها بوجه عام هو طابعها الغنائي الذي يشي به العنوان نفسه ،  
ثم ما يغلب عليها من بساطة وبراعة فيها كثير من الطفولية ،  
هذا وإن كان بعضها يجمع بين تلك الصفة وعمق النظرة إلى  
عناصر الطبيعة على نحو يجعلها أقرب إلى قصائد « الغناء  
العميق » .

ويمكن تصنيف هذه الطائفة من القصائد القصيرة بحسب  
أشكالها البنيوية ومفاهيمها إلى أربع مجموعات :

(أ) الأولى هي الأغاني ذات « الأقفال » المتكررة  
(estribillos) في بنية هندسية تشبه ما نعرفه في  
الموشحات الأندلسية ، و« القفل » مصطلح يستخدم في  
صناعة التوشيح للدلالة على الجزء الثاني من « البيت »  
( أي المقطوعة ) في الموشحة ، وهو الذي يسمى أيضاً  
« السَّمْط » ، وقد يكون متكرراً بالفاظه أو يكون ملتزماً  
بقافية تكرر في جميع الأقفال . وهو الذي يبرز الطابع  
الغنائي للموشحة بما فيه من موسيقية رتيبة متكررة .  
ومن أمثلة هذا النوع قصيدته « بركة » ، أغنية أخيرة ؛  
حيث نرى تكراراً لهذا السطر الشعري :

« ها قد أقبل الليل »

يردده الشاعر بعد كل بيتين . وكذلك فى النشيد الرابع من قصيدة « أربع أناشيد صفراء » ؛ حيث يتكرر القفل :

« على سماء

الأقحوان أمشى »

ثلاث مرات : فى المطلع ، وفى الوسط ، وفى النهاية . ونحن نرى فى هذه الظاهرة واحدة من تلك الموروثات التى انتقلت إلى الشعر الإسباني منذ قديم من الشعر الأندلسى ، رأيناها منذ بداية الشعر الغنائى القشتالى فى ديوان « الحب الطيب » (El libro del buen amor) لنائب الأسقف فى هيتا - El Arci- preste de Hita فى القرن الرابع عشر ، ثم فى مجموعات الشعر الغنائى الشعبى خلال القرون التالية ، وكان من أكثر شعراء إسبانيا براعة فى نظم تلك القصائد ذات الأقفال لوبى دى فيجا Lope de Vega ( ١٥٦٢ - ١٦٣٥ ) سواء فى شعره الغنائى أو فى مسرحه الشعرى ، ويعد لوركا هو مجدد ذلك التقليد فى القرن العشرين ، حدا به إليه إرهاف حساسيته للإيقاع الموسيقى ، فنحن نعرف عنه منذ صباه شغفه بالموسيقى وإجادته للعزف على البيانو وضرب القيثارة



(العود الأندلسى) ، وهذا هو ما جعله شاعراً « شفاهياً » ، جيد إلقاء شعره ، وما أكثر ما كان معاصروه يتحدثون عن المتعة التى كانوا يجدونها فى الاستماع إليه وهو ينشد شعره .

(ب) المجموعة الثانية هى قصائد وصفية صور فيها الشاعر مشاهد من الطبيعة وهى مشاهد توحى بالعزلة والوحشة الحزينة مثل تلك التى أولع بوصفها الشعراء الرومانسيون ، ونحن نجد فى بعضها مقابلة بين عالم الطبيعة الحسى وعالم الروح مثل تلك القطعة التى يناظر فيها بين مشاعره وزهرة الدفلى فى ألوانها المختلفة : البيضاء والحمراء والسوداء ، وزهرة الدفلى ( واسمها الإسبانى مأخوذ من العربية adelfa ) كثيراً ما تستخدم فى الشعر رمزاً للحزن الدفين تحت ظاهر بهيج ، فهى زهرة جميلة غير أنها شديدة المرارة . وهى ذات ألوان مختلفة ، فقد تكون بيضاء أو حمراء ضاربة إلى اللون الوردى أو صفراء ، ولكن ليس السواد من ألوانها ، إلا أن الشاعر فى مقابله بين أحاسيسه وألوان هذه الزهرة يتخذ لها فى النهاية إزاء حبيبته الميتة لون السواد :

نظرت إلى نفسي في عينيك

وفكرى في روحك

( دفلى بيضاء )

نظرت إلى نفسي في عينيك

وفكرى في ثغرك

( دفلى حمراء )

نظرت إلى نفسي في عينيك

ولكنك كنت ميتة !

( دفلى سوداء )

(ج) هي التي نجد فيها الصورة الشعرية سواء أكانت قائمة على الاستعارة أم على التشبيه بأنواعهما هدفاً في حد ذاته . وقد كانت الصورة من أهم ما اتجهت إليه تطلعات الشعراء الطليعيين من جيل لوركا حتى إنهم اعتبروها جوهر الشعر وخلصته ، ومن هنا كان احتفاؤهم بشاعر العصر الذهبي جونجورا وتجمعهم للاحتفال بذكره المتوية الثالثة ، فقد كان هذا الشاعر أشد شعراء



جيله عناية بالصورة وأكثرهم غراماً بالاستعارات  
البعيدة التي تصل إلى حد الإيفال في الغموض ، وهو  
أشبه ما يكون في شعرنا العربي بأبي تمام الذي أخذ  
عليه نقادنا القدماء جنوح صورته إلى التعقيد  
واستعاراته إلى الإحالة . أما في شعر لوركا فنحن نجد  
هذه الظاهرة في بعض مقطوعات « الأغاني الأولى » ،  
مثل تلك التي اتخذ لها عنوان « هلال » :

القمر ينفذ في الماء  
ما أهدأ السماء !  
ينفذ حاصداً ببطء  
ارتعاش النهر العجوز  
بينما غصن فتى  
يتخذة مرآة

على أن الصور هنا ليست في جرأة ما سنراه في شعر  
لوركا بعد ذلك في دواوينه التالية التي تدرجت غرابة الصور  
فيها من الرمزية إلى التجريد السيرىالى الذي يمثلته ديوانه  
« شاعر في نيويورك » ( ١٩٣١ ) . ونرى الصورة تتعقد عنده  
حينما يستخدم رموزاً تراثية مأخوذة من « العهد القديم » مثل  
تلك الأبيات الواردة في المقطع الثالث من قصيدته « أربع أناشيد  
صفراء » :

## الثوران يسيران وهما يزفران

عبر حقول « راعوث »

بحثاً عن المخاضة

فالإشارة هنا إلى ما ورد في « سفر راعوث » من التوراة من أن راعوث المؤابية رجعت إلى بيت لحم بعد وفاة زوجها ، واستأذنت حماتها في أن تذهب إلى الحقل لتلتقط ما بين السنابل من حب وراء الحصادين ، وانتهى الأمر بأن تزوجها صاحب الحقل (١) .

ويبرز الناقد فرانسيسكو أومبرال ظاهرة تبدأ بواكيرها في البرزوخ في هذا الديوان (٢) ، وهي ما يغلب على صور لوركا فيه ، من أنها أشبه بالأحلام حيث تختلط الحقيقة بما يكمن في الوعي الباطن ، فتجىء الصور غائمة متداخلة لا يربط بين أجزائها أي رابط منطقي ، كما يلح هذا الناقد على ظاهرة أخرى

(١) سفر راعوث ، العهد القديم ، ط . جمعيات الكتاب المقدس المتحدة ، بيروت ١٩٤٦  
ص ٢٥٢ - ٢٥٥ .

(٢) انظر كتاب فرانسيسكو أومبرال : لوركا الشاعر الرقيم ص ٥٦ - ٥٨

Francisco Umbral : Lorca , poeta maldito, Madrid, 1975

وصفة « الرقيم » هي التي أطلقت من قبل على الشاعرين الفرنسيين بودلير ( ١٨٢١ - ١٨٦٧ ) ثم رامبو ( ١٨٥٤ - ١٨٩١ ) . ودراسة أومبرال في كتابه المذكور هي تحليل نفسية لوركا ولنتاجه الأدبي على ضوء ما عرف عنه من شذوذ جنسي ، فهو يرى أن هذه العقدة النفسية هي التي تفسر كل تصرفاته في حياته وكل ما أنتجه من أدب وهي مصدر ما نسبه إليه من انفصام في شخصيته ومزيج من الذكورة والأنوثة .

هى ما يشيع فى الديوان من تعابير «أنثوية» كأنها مقولة على لسان امرأة ، وهو يفسر ذلك بما انتهى إليه فى تحليله لشخصية لوركما من «انفصام» وازدواج بين الذكورة والأنوثة.

(د) وهناك مجموعة رابعة من القصائد تبدو فيها تأملات الشاعر أكثر عمقاً ونضجاً والرموز أشد كثافة ، مثل قصيدته « آدم » التى يتحدث فيها عن فجر الحياة متمثلاً فى مولد طفل :

شجرة من الدم تبلل الصباح

حيث ينطلق زحير امرأة فرغت من الولادة

يترك صوتها فُتاتاً من البلور فى الجرح

ورسماً للعظم مطبوعاً على النافذة .

ومثل ذلك نراه فى قصيدة « بياض ساعة » وهى لفظة تأملية لمرور الزمن وتسرب الحياة متمثلاً فى حركة عقارب الساعة بين الأرقام الاثنى عشر . أما قصيدة « أسيرة » - وهى من قصائده ذات الأقفال المتكررة - فهى تصور للحياة يرمز لها فيها بصبية تائهة « تبكى بقطرات ندى / للزمن الأسير » . وأما القصيدة الأخيرة فى الديوان « أغنية » فهى أكثر قصائده غموضاً ، والرموز فيها تكاد تستعصى على التفسير ، وفيها



يتصور الشاعر الشمس والقمر في هيئة حمامتين ثم نسرين  
من الرخام ، ولعله يقصد بالشمس والقمر الحياة والموت ،  
وسوف نرى في أشعار لوركا ومسرحه أن القمر هو الذى  
يرمز عنده دائماً للموت . وتنتهى القصيدة بأن « الاثنتين كانتا  
لا شىء » وكأنه يريد أن يعبر بذلك عن عبثية الحياة .

## الثانى

### ديوان الأغانى

الديوان الثانى هو « ديوان الأغانى » ( ١٩٢١ - ١٩٢٤ ) .  
وأول ما نلاحظه فيه هو احتوائه على مجموعة كبيرة  
من الأغانى التى كأنها كتبت للأطفال . وكنا قد أشرنا من قبل  
إلى « الطفولية » فى شعر لوركا ، وهى صفة لازمتها إلى آخر  
حياته ، ويبدو ذلك جلياً فى كثير من تعبيراته المتسمة بالبساطة  
والبراءة وكذلك فى استيحائه كثيراً من شعره من الحيوانات  
الصغيرة والحشرات كما نرى فى قصيدته « العظاية تبكى » و  
« أغنية حمقاء » ، حيث نرى حواراً بين طفل وأمه . وهو أحياناً  
يعيد صياغة أغنية طفولية من التراث الشعرى القديم ، مثل  
قصيدته « أغنية إشبيلية » حيث يقول :

أين يكون العسل ؟

هو فى الزهرة الزرقاء

يا إيزابيل

فى تلك الزهرة

من زهور إكليل الجبل .

فمن الواضح أن لوركا أخذ هذه المقطوعة من مقطوعة  
أوردها كالديرون فى مسرحيته « عمدة سلمية » يقول فيها :

هذه أزهار إكليل الجبل                      هذه أزهار إكليل الجبل

يا إيزابيل

ها هى اليوم علَّتْها زرقَةٌ                      وغداً تصبح رِيًّا بالعسل

يا إيزابيل (١)

وفى الديوان مجموعة من القصائد بعنوان « أندلسيات »  
نجد فيها بساطة القصائد السابقة ، غير أن التعبير لم يعد يتسم  
بما فى تلك من « الطفولية » ، فهى أكثر جِدًّا وعمقاً ومأساوية ،

(١) كالديرون دى لباركا Corderón de la Barca (١٦٠٠ - ١٦٨١) : الشاعر  
المسرحى تلميذ لوبى دى فيجا وأعظم أعلام المسرح الشعرى بعده ، ومسرحية « عمدة  
سلمية » El alcalde de Zalamea هى أصلاً من تأليف أستاذه لوبى ، غير أنه أعاد  
صياغتها على نحو أكثر توفيقاً . وقد قمنا بترجمتها إلى العربية ، ونشرت بعناية المركز  
الثقافى الإسباني بالقاهرة سنة ١٩٩٢ . انظر نص الأغنية المذكورة فى ص ٩٧ .

لا سيما حين يصور لنا في لمسات سريعة طوابع المدن  
الأندلسية الثلاث : قرطبة وإشبيلية وغرناطة في إشارات  
رمزية موحية ، وأولى هذه القصائد تتحدث عن قرطبة بغير أن  
يذكرها باسمها ، ولكننا نستشف من وراء الكلمات أنها هي  
المعنية ، إذ يتردد فيها ذكر « الجبل الأسود » Sierra Morena  
الذي تقع عاصمة الأندلس القديمة على سفحه ، وما اشتهرت  
به من قطاع الطرق خلال القرن التاسع عشر ، وهنا يتكثف  
اللون الأسود ويغلب على القصيدة : الجبل الأسود ، والقمر  
الأسود ، والحصان الأسود ، وهو يرمز إلى الموت ،  
فالحصان يذهب بفارسه الميت ، والدم يسيل من سفوح  
الجبل ، والعطر ينبعث من زهرة الخنجر ، والليل « يغمد  
في الجبل نجومه » ، وتنتهي القصيدة بصرخة ، ثم قرن من  
النار ينبعث من الحريق المشتعل .

وفي قصيدة « طفلتى ذهبت إلى البحر » صورة بهيجة  
لإشبيلية ونهرها الذي تتهادى فيه خمسة مراكب مجاذيفها  
في الماء وأشرعتها في النسيم وبرجها الذي لبس أبهى حله .  
وكأن لوركا يعيد علينا هنا ما كان عرب الأندلس يصفون به ،  
إشبيلية في عصرها الإسلامي : « عروس بلاد الأندلس » ونهرها  
الذي « تسير القوارب فيه للنزهة تحت ظلال الثمار وتغريد



الأطيار»<sup>(١)</sup> ، وفى هذه القوارب من الشعراء والمغنين وآلات الطرب ما يجعل من ذلك النهر « الوادى الكبير » لوحة حافلة بالبهجة والمتعة<sup>(٢)</sup> ، وأما « برج إشبيلية » الذى يشير إليه لوركا فهو « برج الذهب » Torre del Oro الذى أنشأه الموحدون فى أواخر أيامهم فى الأندلس ، ويعد هو ومئذنة المسجد الجامع التى يدعوها الإسبان اليوم « دوارة إشبيلية » La Giralda آخر المعالم الإسلامية فى المدينة . وفى قصيدة « شجرة شجرة » تصوير رمزى يقابل فيه بين إشبيلية ، ويمثلها ثلاثة من مصارعى الثيران فى ستراتهم التى بلون البرتقال وغرناطة ، والمساء يتلون فيها بلون البنفسج الحزين وبالنور الشاحب المبهم ، وقد أتى إليها فتى كان يحمل ورداً وريحاناً من القمر ، والقمر هو الذى يلح لوركا على استخدامه رمزاً للموت .

ولعل أجمل قصائد « الأندلسيات » وأكثرها سيرورة « أغنية الفارس »<sup>(٣)</sup> التى يعود فيها الشاعر لتصوير قرطبة

(١) انظر نفح الطيب المرقى ، تحقيق إحسان عباس ٢٠٨/١ .

(٢) نفح الطيب ٢١٣/٢ .

(٣) لفظ الفارس فى اللغة الإسبانية وهو يتكرر كثيراً فى شعر لوركا هو jinete ، وهو لا يعنى مجرد راكب القرس ، وإنما يعنى البارح فى فنون الفروسية بكل ما يتضمن ذلك من نبيل وكبرياء ، وهو لفظ عربى الأصل ، إذ هو مأخوذ من « زناتى » أى المنتمى لقبيلة زناتة البربرية ، فقد كان فرسان هذه القبيلة على عهد المسلمين فى الأندلس هم أكثر فرق الجيوش مهارة فى ضروب الفروسية .

« البعيدة الوحيدة » وما تثيره فى النفس من حنين ، وجو القصيدة كله حافل بالرموز الموحية بكل ما يقبض النفس :  
الفرس الأسود ، والقمر الأحمر ، ومع أن الفارس يعرف الطرق  
خير معرفة فإنه يحس بأنه لن يصل أبداً إلى قرطبة ، لأن الموت  
يطل عليه من أبراجها .

هذا الجو الحزين الذى يلف قرطبة من جميع آفاقها هو ما  
يحس به الزائر لأول وهلة ، ولا سيما إن كان الزائر عربياً  
مسلماً ، ولكن هذا الإحساس هو الذى يتملك أهل قرطبة اليوم  
مع أنهم لا يتكلمون العربية ولا يدينون بالإسلام ، ذلك لأنهم  
يطالعون ليل نهار مسجد قرطبة الجامع الذى سلم من تدمير  
التعصب الأعمى بعد زوال دولة الإسلام فى الأندلس ، وهم  
يرون فيه رمز قرطبة ومعلمها الأول ، وهم يربطون بينه وبين  
الحضارة الإسلامية الأندلسية التى كانت قرطبة هى عاصمتها  
العتيقة ، وبفضلها أصبحت مدينتهم أكثر مدن غرب أوروبا رقياً  
على مدى خمسة قرون وربع قرن ، لقد ظلت قرطبة على مدى  
ثلاثة قرون حاضرة لخلافة إسلامية منافسة لبغداد والقاهرة ،  
وحتى بعد زوال الخلافة عنها بقيت عاصمة روحية للأندلس  
ومنهلاً للعلم والثقافة ، يتوافد عليها الأوروبيون من كل الأقطار  
لكى يأخذوا عن علمائها وهم مبهورون بما يشاهدونه فيها من  
معالم العمران . ثم لم تلبث حضارتها أن أخذت فى الأندثار بعد  
زوال دولة الإسلام فيها حتى أصبحت اليوم مدينة صغيرة من  
مدن الدرجة الثالثة . من هنا جاءت هذه المشاعر الحزينة المفعمة

بالحنين إلى ماضٍ ذهب ولن يعود .. حنين من ينظر برثاء  
وتعاطف إلى « عزيز قوم ذلّ » ! .

ولعل أجمل تفسير لهذه القصيدة التي تعد مرثية لقرطبة  
هو ماورد في محاضرة لوركا بمناسبة ذكر الشاعر القرطبي  
جونجورا وهو يصف أيامه الأخيرة فيها :

« قرطبة أكثر مدن الأندلس إثارة للشجن .. ويقدم إليها  
جونجورا وقد استحالت إلى أطلال دائرة . إنها تبدو الآن  
كنافورة ضاع مفتاح فوارتها . ويطل الشاعر من شرفته فيرى  
موكباً من الفرسان على صهوات خيول طويلة الأذنان ،  
وغجريات حلّين صدورهن يعقود من المرجان وهن نازلات إلى  
« الوادي الكبير » وهو نصف نائم ... ورجالاً ورهباناً وأناساً  
فقراء يمضون ساعات فراغهم المتثاقلة في نزهة على ضفة  
النهر في ساعات الأصيل الغارب .. لست أدري لماذا تداعت إلى  
ذهني صورة العربيات الثلاث : عائشة وفاطمة ومريم وهن  
قادمات يضربن على دقوفهن بوجوه شاحبة الألوان وأقدام



سريعة الحركة<sup>(١)</sup> ماذا يقول الناس في مدريد ؟ لا شيء ! مدريد  
اللاهية الماجنة مشغولة بالتصفيق لمسرحيات لوبي [   
دي فيجا ] الهازلة أو بلعبة « الدجاجة العمياء » في مرج «  
البرادو » . ولكن من يذكر ذلك الراهب المنفرد في عزلته  
البعيدة ؟ إن جونجوار وحيد تماماً ، والإنسان الوحيد في أى  
مكان قد يجد شيئاً من السلوى ولكن .... هل هناك أمر أقسى  
مأساوية من أن يكون وحيداً في قرطبة ؟ !»

هكذا وصف لوركا قرطبة على عهد جونجورا في القرن  
السابع عشر ، ولا تختلف صورتها في شعر لوركا في مطلع  
القرن العشرين عن صورتها آنذاك :  
« قرطبة بعيدة ووحيدة »

( ١ ) يشير لوركا هنا إلى أغنية « العريبات الثلاث Las tres morillas » ، التي  
كانت شائعة في القرن السادس عشر الميلادي ، وهي منظومة نورية على نهج الموشحة  
يتكرر الجزآن الأخيران من مطلعها فيصيران أقفالاً ينتهى بها كل نور ، ويتغنى فيها  
الشاعر بثلاث عريبات في جيان :

Tres morillas me enamoran / en Jaén / Axa, Fatima y Ma-  
rién / Tres morillas tan garridas / Ibn a coger olivas / Y falla-  
banlas cogidas / en Jaén / Axa, Fatima y Marién ..

وترجمتها : « ثلاث عريبات عشقتن / في جيان / عائشة وفاطمة ومريم ، ثلاث  
عريبات فائقات الجمال / ذهبن يجمعن الزيتون / فوجدنه قد جُمع / في جيان / عائشة  
وفاطمة ومريم » .. ( انظر تاريخ الفكر الأندلسي لأنخل جونثالث بالنتيا ، ترجمة الدكتور

وتتكثف مأساوية الصورة حين نرى الفارس يترصده الموت و لينقض عليه فى أى لحظة :  
 « الموت يلاحظنى مُطلّاً من أبراج قرطبة » .  
 ونلاحظ فى هذا الديوان ولعاً متزايداً بالتشبيهات والاستعارات الغريبة ، وقد رأينا ذلك فى ديوانه السابق ، ولكنه فى هذا الديوان أكثر غراماً بتصيد تلك الاستعارات التى تفاجئ القارئ بطرافتها ، ففي قصيدته « أديلينا تخرج للنزهة » نرى كيف يصبح الوجه ليمونا حلواً وحامضاً والكلمات تتحول إلى سمكات صغيرة تسبح حول الشاعر . وتكتظ بعض القصائد مثل مجموعة « لعب » « وأغانى القمر » بتلك الصور الجريئة .

= حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٥٥ ( ص ٢٧ - ٦٢٨ ) .

ومن الواضح أن هذه الأغنية الشعبية التى تسير فى نظمها على نهج الموشحة الأندلسية متأثرة أيضاً فى مضمونها بموضوع طرقة الشعر العربى . فالتغزل بثلاث فتيات هو ما نجده فى مقطوعة منسوبة للخليفة هارون الرشيد يقول فيها :

ملك الثلاث الأنسات عنانى      وحلن من قلبى بكل مكان

وقد عارضها فى الأندلس الخليفة الأموى سليمان بن الحكم الملقب بالمستعين بقصيدة يقول فيها :

عجباً يهاب الليث حدّ سنانى      وأهاب لحظ فواتر الأجفان  
 وتملكت قلبى ثلاث كالنمى      زهر الوجوه نواعم الأبدان

( انظر النخبة لابن بسام ، القسم الأول - ١ / ٤٧ )

وقد لاحظ دارسو الشعر الإسباني ونقاده ممن أعادوا « اكتشاف » جونغورا - وهو الجيل الذي كان لوركا من أبرز أعلامه - أن أبرز خصائص هذا الشاعر هو حفاوته الفائقة بالصورة الشعرية القائمة على التشبيهات والاستعارات ، وبدت غرابة صورته كما لو كانت من نتاج العصر الحديث ، بل رأى هؤلاء الشعراء والنقاد أن شعر جونغورا يكاد يتفق تماماً مع ما كانوا يطمحون إليه من تجديد ثوري دعا إليه هؤلاء الذين دعوا أنفسهم « شعراء الطليعة Los Vanguardistas » . ومن هنا كان تكريمهم لذكرى جونغورا بمثابة « رد اعتبار » لذلك الشاعر الذي أهمل وعلا تراثه غبار النسيان خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

وقد وافق هذا الاتجاه مع العشرينيات من هذا القرن اهتمام باستحياء الشعر العربي الأندلسي والإشادة بقيمه الفنية والجمالية ، ويُعد المستشرق الإسباني إميليو غومس Emilio Garcia Gómez ( ١٩٠٥ - ١٩٩٥ ) هو رائد هذا الاتجاه ، وكان قد أرسل في بعثة للقاهرة للاستزادة من العربية والتعمق في دراسة الأدب العربي ، وعاد إلى إسبانيا حاملاً معه مخطوطة أهداه إياها شيخ العروبة أحمد زكي باشا ، وكانت كتاباً لابن سعيد المغربي ( ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م ) بعنوان « رايات المبرزين وغايات المميزين » وهو مجموعة من المختارات الشعرية الأندلسية عني فيها المؤلف



بانتقاء غرائب التشبيهات في الشعر الأندلسي ، وقام غرسية غومس الذي أصبح أستاذاً للأدب العربي في غرناطة بنشر ترجمة لكثير من تلك المختارات بلغة إسبانية رفيعة لفتت أنظار الأدباء لذلك التراث العربي الأندلسي ، فكان ذلك « اكتشافاً » آخر ربط فيه هؤلاء الأدباء بين صور الشعراء الأندلسيين وما رأوه في شعر جونغورا . فكان هذان التراثان من أبرز المصادر التي استلهم منها شعراء الشباب من ذلك الجيل محاولاتهم التجديدية . واعترف بعضهم - مثل رافاييل ألبرتي Rafael Alberti وداماسو أลอนسو Dámaso Alonso - بتأثير الشعر الأندلسي في ترجمة غرسية غومس في أعمالهم ، ولكن الغريب أن لوركا بالذات والسبب غير مفهوم ، لم يعترف بهذا التأثير ، على حين أنه يسجل تأثيره في مجموعة قصائده « أندلسيات » بتأثير الشعر الياباني ( الهاي - كاي Hai - Kay ) . ويعلق على ذلك الناقد ديث بلاخا فيقول بمناسبة مقطوعة لوركا التي تحمل عنوان « زهرة » بأنه كان أولى به أن يذكر الشعر الأندلسي الذي نجد فيه صوراً لم يستطع مجاراتها حتى أجراً الشعراء الطليعيين ، ويضرب على ذلك مثلاً ببيتين لأبي عامر ابن شهيد في رسم صورة للأزهار وهي تتطلع لقطرات المطر المنسكب ولمرور قطع السحاب :

وقد فَعَرَتْ فَاها دُجى كل زهرة

إلى كل ضرع للغمامة حافل

ومرت جيوش المزن رهواً كأنها

عساكر زنج مذهبات المناصل (١)

ويشير ديات بلاخا أيضاً إلى ما يشيع في هذا الديوان ، بل وفي شعر لوركا كله من ولع بالتصغير ، وهو لا يعنى بذلك استخدامه للواحق اللغوية الدالة على التصغير فحسب ، بل كذلك في تصغيره لكل مشاهد الكون ، حتى للأجرام السماوية ، ويضرب على ذلك مثلاً بالمقطع الثانى من قصيدته « قمران في المساء » حيث يقول :

« أختى الصغيرة تغنى :

الأرض برتقالة .

القمر يقول باكياً

أنا أريد أن أكون برتقالة »

وقد أشرنا في مستهل هذا الحديث إلى رأي لوركا في ظاهرة التصغير الشائعة في جميع أنحاء الأندلس ، وإن كان شاعرنا يرى أنها تتخذ في غرناطة سمات خاصة ، بل هو في عرضه البديع لهذا الظاهرة يقول إنها أساس الفلسفة الجمالية لهذه المدينة ، ويمثل لها بقصر الحمراء وجدرانها التي تغطيها الزخارف حتى تكاد تخلو من الفراغات ، ونعتقد أن لوركا كان مصيباً تماماً في هذا التصور ، غير أننا نضيف إليه أن ظاهرة التصغير إنما هي من موروثة إسبانيا عن الأندلس الإسلامية

(١) جيرموبيات بلاخا : لوركا ص ١٠١ - ١٠٢ ، والبيتان واردان في رايات

البرزين ، ص ٤٢ من النص العربى ، و ١٨٢ من الترجمة الإسبانية .

ومتصفح الشعر الأندلسى يمكنه أن يلاحظ كيف يشيع فيه التصغير على نحو يلفت النظر ، ولا سيما فى الشعر الذى يغلب عليه الطابع الشعبى مثل الموشحة والزجل ، وهما أعظم مبتكرات الأندلسيين الشعرية ، أما الموشحة فهى تقوم على تجزئ السطر الشعرى بما يعنيه ذلك من تكثيف للغة الشعر ، ويبلغ الأمر ببعض الوشاحين أن يجعل الجزء كلمة واحدة ، كما نرى فى إحدى موشحات الصوفى ابن عربى المرسى :

قل لمن قال لنا اتبعوا رسلنا  
أعلمن أن بنا يندفعوا نحونا  
فالزمن قول أنا إن شرعوا سبلنا  
العوال لمن علا قدراً على القانت  
واستمال من قال لا لفرعه النابت

وهكذا نرى التماثل بين الموشحة وزخارف الأبنية الأندلسية : الموشحة ليست إلا توريقات تتخذ مادتها من الكلمات ، وزخارف الأبنية إنما هى موشحات صنعها الفنان الأندلسى من الحجر والآجر وبلاطات الزُّليج<sup>(٢)</sup> . وفى كلتا

(١) ديوان ابن عربى ، القاهرة ١٢٧١ هـ ٨٤ ، ديوان الموشحات الأندلسية ، جمع سيد مصطفى غازى ، الإسكندرية ١٩٧٩ - ٢٥٥/٢ .

(٢) الزُّليج : هو ما ندعوه فى مصر بالقيشانى ، وهو مصطلح أندلسى يطلق على لوحات الخزف التى تفتنوا فى صنعها وتلوينها بطلاء ذى بريق معدنى ، واللفظ عربى فصيح ؛ إذ هو تصغير للزُّلج ، يقال مكان زلج ( بفتحتين ) وزلج ( بفتحة فسكون ) زلق ، أى تزلق عنه اليد لللاسته ، وقد انتقل هذا اللفظ إلى الإسبانية فى صورة azulejo .



الحالتين تكون الصنعة الفنية ضرباً من الفُسيفساء والمنمنمات  
البالغه الصغر ، وأما الزجل فنحن نلاحظ شيوع صيغ  
التصغير فى نماذجهِ . وفى ديوان ابن قزمان القرطبي  
( المتوفى سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م ) عشرات الأمثلة على هذا  
الاستعمال اللغوى ، ويكفى أن نشير إلى زجل طويل له تنتهى  
كل أقفاله بلفظ مصغر ، وهو الذى يبدأ بقوله :  
ذابَ نَعشَقك نُجَيِّمُه (١)

وفى ديوان «الأغانى» مجموعة من القصائد الغزلية تحت  
عنوان «إله الحب وعصاه» وهى قصائد أثارت كثيراً من الجدل  
والتساؤلات حول مفهوم الجنس وأبعاده عند لوركا . ولا  
يسعنا فى هذا المقام إلا أن نسلم بما ذكره الكثيرون ممن عرفوا  
لوركا معرفة شخصية وممن تعرضوا لتحليل شعره من أن  
مفهومه للجنس كان مزدوجاً أو مزيجاً من الذكورة والأنوثة ،  
وقد كان فرانسيسكو أومبرال أشد النقاد عناية بالنفاذ إلى هذا  
الجانب من شخصية لوركا . وربما صدق رأيه ماورد فى  
القصيدة الأولى من تلك المجموعة ، وهى بعنوان « فزع فى قاعة  
الطعام » وفيها يقول :

« رَغِبْتُ فى التَفاحِ الأخضرِ

ولم أَرِدِ التَفاحِ الوردى »

(١) ديوان ابن قزمان « إصابة الأغراض فى نكر الأعراض » ، تحقيق فيديريكو

كورينتى ، القاهرة ١٩٩٥ - الزجل رقم ١٠ ، ص ٥٤ .

وقد سبق أن أشرنا إلى أن اللون الأخضر حيث يرد في شعر لوركا فإنه يرمز إلى الذكر ، هذا على حد قول أومبرال ، أما اللون الوردى فهو رمز الأنثى ، على أنه في القصيدتين التاليتين يتغزل بامرأتين على نحو يوحى بالواقعية نصّه على اسميهما : « لوثيا مرتينث » و« فرخينيا » والغزل في القصيدتين حسى صريح ، إذ هو تغنّ بمفاتن الجسد ، لا يدع مجالاً لأي إحساس روحى أو عاطفى ، ونرى مثل ذلك أيضا فى القصائد الثلاث التالية . ولا يعنينا أن نتساءل عما إذا كانت التجارب التى يشير إليها فى هذا الشعر صحيحة أم متخيلة ، وإنما يكفى أن نقول إن هذا الازدواج فى النظرة إلى الجنس ليس مما انفرد به لوركا ، بل رأيناه عند شعراء آخرين أوروبيين وعرب ، ومن هؤلاء شاعرنا العباسى أبو نواس .

### الثالث قصيدة الغناء العميق

الديوان الثالث هو « قصيدة الغناء العميق Poema del cante jonde » ومع أن الشاعر دعاه « قصيدة » فإنه يتألف فى الحقيقة من قصائد كثيرة ، غير أنه يجمع بينها أنها تدور كلها حول هذا اللون من الغناء وألوانه المختلفة والبيئة الأندلسية التى ولد فيها وارتبط بها ، بحيث لم يبعد الشاعر عن الصواب حينما عدّ هذه المجموعة من الأشعار « قصيدة » واحدة ،

ويرجع تاريخ كتابة هذه القصائد إلى سنة ١٩٢١ ، غير أنها لم تنشر كاملة إلا فى سنة ١٩٣١ . وقد كان غرسية لوركا عميق المعرفة بهذا اللون من الغناء ووثيق الصلة بالمغنين الذين كانوا يؤدونه ، ولا سيما من طائفة الغجر أو ممن عايشوا الغجر وأخذوه عنهم ، بل إنه هو نفسه كان يساهم فى أدائه ، وإليه يرجع الفضل فى رفع شأنه والتنويه بقيمه الفنية والجمالية ، وكان قبل ذلك ، وحتى أيامه ، موضع استهانة واحتقار من جانب المثقفين بصفته فنا أكثر ممارسيه من الغجر ، وكان من أبرز ما قام به فى هذا السبيل اضطلاع بالتعاون مع المؤلف الموسيقى الكبير مانويل دى فاي Manuel de Falla بتنظيم أول مهرجان لهذا الغناء فى سنة ١٩٢٢ ، وتضمن هذا المهرجان مسابقة بجوائز مالية للمتفوقين فى أداء أنواعه المختلفة ، وكان من بين الفائزين فى تلك المسابقة صبى صغير فى الثانية عشرة من عمره هو مانولو كارا كول Manolo Cara-col الذى أصبح بعد ذلك من أبرز أعلام هذا الغناء حتى وفاته منذ عشرين سنة فى حادثة سيارة ، وكان مهرجان سنة ١٩٢٢ فاتحة لمهرجانات مماثلة تعقد بشكل دورى حتى اليوم ، وبفضل هذه المسابقة احتفظ فن « الغناء العميق » بقيمه وأصالته ، وكان يخشى عليه من الاندثار .

ويطلق على هذا الغناء أيضا اسم « الفلامنكو Flamenco » وهو لفظ لم يتفق الباحثون على أصله الاشتقاقى ، وهناك من



يفرق بينه وبين لفظ jondo على أساس أن الأول صفة الأنواع الخفيفة من هذا الغناء ، على حين أن الثانى يعنى ألواناً أخرى أكثر « عمقاً » وأصالة ، على أن الأرجح هو أن اللفظين مترادفان .

والخلاف بين الباحثين حول أصول هذا الغناء أكثر وأوسع ، فمنهم من يرده إلى الغناء الكنسى الذى يدعى « الجريجورى gregoriano » ، ومنهم من يزعم له أصلاً يهودياً من التراتيل التى كان يهود الأندلس ينشدونها فى بيَعِهِمْ ، ولكن أرجح الآراء هو أن أصوله عربية أندلسية ، فنحن نعرف ما بلغته الأندلس الإسلامية من نهضة كبيرة فى الموسيقى والغناء ، ولا سيما على يد المغنى الفارسى الأصل زرياب الذى قدم إلى الأندلس فى أوائل القرن التاسع الميلادى فى عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم الأوسط ، وفى الأندلس أصبح زرياب إماماً لمدرسة فى الموسيقى والغناء انتمى إليها عدد كبير من أبنائه وتلاميذه وجواريه ، وإليه يرجع الفضل فى تطوير آلة « العود » الشرقى الذى كانت أوتاره أربعة فأضاف إليها وترأً خامساً . ومن المعروف أن العود هو أبو القيثارة la guitarra الأندلسية التى تعد الآلة الرئيسية المصاحبة للغناء العميق ، وتنوعت بعد ذلك مدارس الغناء وتعددت طرائقه ، وانتقل إلى إسبانيا المسيحية التى كان أهلها ينظرون إلى الشعب الأندلسى باعتباره أرقى منهم فى مضممار الحضارة ، ويدل على ذلك أن كثيراً من مصطلحات الغناء ومن أسماء الآلات

الموسيقية فى اللغة الإسبانية من أصول عربية . وظل الأمر كذلك حتى نهاية دولة الإسلام فى الأندلس ، على أن بقية الشعب المسلم المعروف بالموريسكيين ظلت محافظة على تراثها الغنائى والموسيقى . وكثيراً ما تحدثنا المصادر الإسبانية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر عن تلك الحفلات الغنائية التى كان الموريسكيون يقيمونها ، والتى انتقل الكثير من أسمائها ، مثل لفظ « زمرة » ، إلى الإسبانية فى صورة zambra ، وهو لفظ يطلق اليوم على أحد ألوان الغناء الأندلسى « العميق » .

أما ماهو معروف اليوم من أن الغجر هم القوامون اليوم على هذا الغناء فلهذا تفسير يبدو لنا منطقياً . لقد كانت طائفتا الموريسكيين المسلمين والغجر موضع اضطهاد عنيف من جانب أجهزة الدولة والسلطات الكنسية منذ سقوط غرناطة فى أواخر القرن الخامس عشر ، وأدى ذلك إلى تعاطف وصل إلى حد الامتزاج بين الطائفتين ، « فالمصائب - على حد قول شاعرنا أحمد شوقى - يجمعن المصابين » ، وكان من الطبيعى أن يتأثر الغجر بفنون إخوانهم فى المحنة ، ولا سيما إذا كانت هذه الفنون معبرة عن الألم والعذاب ، وليس هناك أصدق تعبيراً عن ذلك من الغناء ، فهو الذى كان المضطهدون يجدون فيه شيئاً من السلوى . وما أصدق قول مانويل ماتشادو الشاعر الإشبيلي المعاصر للوركا : « الذى يغنى ألمه ينساه ! » .

غرناطة هى آخر معقل من معاقل المسلمين يسقط فى أيدي

الملكين الكاثوليكيين فرناندو وإيزابيل في سنة ١٤٩٢ . ومن هنا تبدأ محنة الشعب الغرناطي المسلم الذي ظل متشبثا بثقافته على الرغم من محاولات الدولة والسلطات الكنسية بتجريده منها .

وبعد ذلك بسبع سنوات يصدر الملكان الكاثوليكيان أول مراسيم الاضطهاد للشعب الغجري في « مدينة دل كامبو Medina del Campo » سنة ١٤٩٩ . وهكذا التقت جراح الشعبين ، وأصبحت غرناطة هي بؤرة المأساة التي ترسب فيها حنظل المرارة ، فاصطبغ الغناء فيها باللون المأساوي .. الذي عبر عنه لوركا بما سماه « الألحان السود » .

على ضوء ما ذكرنا ينبغي أن نفهم القصيدة التي يفتح بها قصيدة « الغناء العميق » وهي بعنوان « الأنهار الثلاثة » ، وهو يعنى بها نهر « الوادي الكبير » رمز إشبيلية ونهرى حدره El Darro وشنيل El Genil اللذين يمران بغرناطة . وما أبعد الفرق بين هذه الأنهار ، الوادي الكبير في إشبيلية قرب مصبه في المحيط هو ذلك الذي تحقق بضفافه المتنزهات البهيجة وتمخرفيه القوارب للنزهة « تحت ظلال الثمار وتغريد الأطيوار » كما سبق أن رأينا في نص أندلسى سابق ، وما زال هكذا حتى اليوم : نهر المرح والصخب . أما نهر غرناطة فهما مجريان بائسان تجف المياه فيهما في معظم فصول السنة ، ومع ذلك فقد كان الغرناطيون المسلمون يعتزون بهما حتى إن شاعرهم يقول عن ثانى هذين النهرين :

إن كان في مصر نيلُ فعندنا ألف نيل



وفى هذا لون من المبالغات الهازلة التى اشتهر بها  
الأندلسيون قديماً وحديثاً ، مبالغة تقوم على تلاعب لفظى ،  
فحرف الشين فى لغة البربر - وقد كان العنصر البربرى  
من مكونات المجتمع الغرناطى المسلم - يعنى الألف ، فلفظ  
« شنيل » يعنى بذلك « ألف نيل » . أما لوركا فإنه يرى فى  
النهرين صورة مكثفة لمأساة غرناطة :

نهر الوادى الكبير  
ذو لحية حمراء داكنة  
ونهر غرناطة

واحد من دموع ، والآخر من دم  
آه من الحب

الذى طارت به الريح  
للقوارب ذات الشراع  
طريق فى نهر إشبيلية  
وفى مياه غرناطة  
لا مجاذيف إلا الزفرات  
آه من الحب

الذى ذهب ولم يعد

وينطلق الشاعر بعد ذلك فى الحديث عن عناصر « الغناء  
العميق » وألوانه ، هذا الغناء الذى يدين باسمه للصفة التى  
يتسم بها وهى مخرجه من أعماق الروح .. هو الذى « يتصاعد  
من باطن القدم المغروسة فى طين الأرض » على حد قول لوركا  
نفسه . ليس غناءً ينطلق سلساً عذباً من بين الشفتين أو من

الحنجرة ، بل هو منبعث من عمق الروح كأنه متفجر من بئر غير ذات قرار ، لا يعتمد المغنى فيه على رخامة الصوت ، بل على الشحنة المأساوية للأداء ، هو غناء الصرخات المستطيلة التى تبدو نشيجاً يأخذ بمجامع النفس ، والحزن الكامن فيه ليس مثل الحزن الذى يتسم به كثير من أغانينا الحديثة ، بما فيها من انكسار واستسلام ، بل هو حزن ثائر متمرد عنيف كأنه يتحدى قوى القهر والطغيان . هو غناء لا يسهل وصفه ، وإنما ينبغى الاستماع إليه لى تتم المتعة التى يحدثها فى النفس ، وهى متعة تمتزج فيه اللذة بالألم . ولعل المستمع العربى أكثر استجابة له من كثير من مستمعيه الإسبان ، إذ إنه يمس من أنفسنا أوتاراً قديمة تحمل إلينا ذكريات أمجاد غابرة . هو غناء يقوم على التطريب وحينما يرتفع صوت المغنى به نهتز لما يتخلله من زخارف صوتية تتموج وكأنها ذلك النسيج المتداخل فى أغصان موشحة أندلسية أو التوريقات التى تغطى جدران قصر الحمراء ! ..

ويفرد لوركا قصيدتين للون من ألوان هذا الغناء هو ما يدعى بالسيجيريا Seguiria التى تعد من أكثر تلك الألوان اصطفاً بالمأساوية ، ففيها يعبر العجرب عما يقاسيه من محن تصيب شخصه أو تُصَبُّ على طائفته ، وتمتد فيها الصرخات الهائلة الممتدة ، ثم يتقطع الصوت فى إجهاش متوتر متقبض ، يبدو « كحقل زيتون / ينبسط وينقبض / كأنه مروحة » أو « كأسراب

من الطيور السجينة / تحرك ذيولها الهائلة الطول / فى  
الفضاء المظلم .

والغناء العميق إما صوت ينطلق مفرداً بغير موسيقى وفيه  
يكون صوت المغنى وحده هو الذى يضبط الإيقاعات والألحان  
وإما أن يكون بمرافقة رتيبة من رنات المطرقة على السندان ،  
وهو غناء الفجر العاملين فى مصاهر الحديد ، ويطلق عليه  
اسم المارتينيتى Martinete ( واشتقاقه من martillo أى  
المطرقة ) ، وقد يكون بمصاحبة « القيثارة la guitarra <sup>(١)</sup>  
التي وصفها لوركا بأنها « تبكى رتيبه / كما يبكى خريز الماء »  
أو « كما تبكى الريح على صفحة الجليد » .

ومن أنواع هذا الغناء « السوليبار le solear » التي يرى  
فيها الشاعر رمزاً لأرض الأندلس « الأرض العجوز / أرض  
القنديل / والألم / أرض الصهاريج العميقة / أرض الموت /  
بلا عيون / والسهام » ثم يقدم لها صورة أخرى : « لابسة  
الثياب السود / تظن أن العالم بالغ الصغر / وأن القلب هائل  
العظمة » .

ويقرد عدداً من المقطوعات لنوع من الأغاني التي تدعى  
« الصائتة la saeta » واللفظ مشتق من العربية ، وهو فى  
الوقت نفسه يعنى السهم ، وهو خاص بمواكب الأسبوع

(١) القيثارة : لفظ مأخوذ من الإغريقية citara . وقد دخل إلى الإسبانية عن  
طريق العربية ، غير أنه لعل له فى دلالته الآن بلك الآلة الإغريقية القديمة المعروفة ،  
وإنما هى تطوير طفيف للعود العربى ، وكان العود الشرقى القديم يحتوى على أربعة أوتار  
، ثم أضاف إليه زرياب فى الأندلس وترّاً خامساً ، ومع مرور الزمن أضيف إليه وتر سادس  
، وهو ما يميز القيثارة الأندلسية اليوم .



المقدس la semana santa ، وهى مواكب تخرج فيه تماثيل السيد المسيح ، والعذراء مريم وصورهما محمولة على أكتاف متطوعين من الجماعات الدينية وسط زحام هائل من المتفرجين، ويطوف الموكب شوارع المدينة ترافقه دقات الطبول، وفجأة يبدأ مُغَنٍّ متطوع أو مغنية، من شرفة أحد المنازل بصرخة مؤذنة بانطلاق صوته بالغناء ، فتخفت الطبول ، ويشرع المغنى فى أداء أغنية تتحدث عن آلام المسيح والجنود الرومان وكهنة اليهود يسوقونه سوقاً عنيفاً وهم يلهبون ظهره بالسياط ..... الأغنية الراجفة التي يتخللها النشيج المتهدج والآهات المستطيلة تستثير كوامن الشجن « المسيح الأسمر / ذو الناصية المحترقة / والوجنات البارزة / والعيون التي ابيضت حدقاتها / انظروا إليه إلى حيث هو ذاهب ! » .

إن هذه المواكب تقام أيام الأسبوع المقدس فى كل مدن إسبانيا ، ولكن ليس لشيء منها ما يبعث الرهبة ويستثير المشاعر ما فى مواكب المدن الأندلسية ، وهى تعبير عن تدين الأندلسيين ، ذلك التدين الذى لا يرجع إلى عمق المشاعر الحقيقية بقدر ما يرتبط بما يحيط بتلك الاحتفالات من عروض فنية قائمة على الفن التشكلى بصوره وتماثيله وبما يواكب هذه العروض من موسيقى وغناء ، ومن ممثلى تلك المشاهد من الجلادين القساة والضحايا الذين لا يملكون إلا البكاء ، وحينما يخفت صوت المغنى تعود الطبول إلى دقاتها الرتيبة التي تملأ القلوب بالرعب !

وفى الديوان عدة قصائد تتحدث عن ذلك اللون الآخر

« البيتينيرا la petenera » ، وهو نوع افنتت فيه مغنية تدعى لانينيا دى لوس بينس La Niña de los peines بصوتها المتهدج الذى هو أقرب إلى خشونة الرجولة ، إنها أغنية مجهولة المصدر ، ولكنها تتحدث دائماً عن الموت ، هى «سالبة عقول الرجال» التى حينما يحل بها الموت لا يشيع جنازتها إلا « ناس مشئومون / قلوبهم فى رؤوسهم / يتبعونها وهم ييكون / عبر الدروب الضيقة » .

ويعود لوركا للحديث عن القيثارة « ملكة الآلات الموسيقية» فيسمى النغمات الصادرة عنها « زفرة الأرواح الهائمة / تنطلق من فمها المستدير » ويشبها « برتيلاء (أى عنكبوت كبير) تنسج نجمة كبيرة / لكى تتصيد الزفرات / الطافية على حبها الأسود / الخشبي » ، وفى موضع آخر يشبه أوتارها الستة بست صبايا يرقصن ، ثلاث منهن - وهى الأوتار الغليظة - من لحم ، وثلاث - الأوتار الدقيقة - من فضة .

ويفرد الشاعر بعض قصائده لبعض مشاهير المغنين والراقصات، فتحت عنوان « نقوش فلامنكية » يرسم صورة لسيلفريو فرانكونيتى الذى عاش فى النصف الثانى من القرن الماضى . وهو من أصل إيطالى ، ولكنه ولد فى إشبيلية وعاش معظم حياته فى قرية مورور التى تدعى الآن Mórón وكانت وفاته فى سنة ١٩١٠ ، هو يعد من أكثر المغنين إحاطة بأنواع « الغناء العميق» المختلفة ولو أن تميزه كان فى غناء «السيجيريا» ، ويشير لوركا إلى أصله الذى يجمع بين جذوره

الإيطالية وأصالته الأندلسية ، فمنحت صوته حلاوة غسل  
إيطاليا وحموضة ليمون الأندلس ، ويصف صرخته الرهيبة  
بأنها كانت « توقف شعر الرءوس / وتفجر الزئبق الذى يجرى  
فى زجاج المرايا » وهو وصف تحققت من صدقه وأنا أنصت  
إلى أحد تلاميذه فى الستينيات «خوسيه نونيث دى لاماترونا»  
وهو يؤدى بعض أغانيه على طريقته ، وقد أهدى لوركا  
قصيدته هذه إلى مَغْنٍ معاصر له : مانويل توريس Manuel  
Torres ذلك الغجرى العملاق « فتى شريش » «ذى القامة التى  
تبدو قامة فرعون» وفى قصيدة أخرى ينوه لوركا بالمغنى  
المالقى « خوان بريثا Juan Breva ، ذى الصوت الرقيق الذى  
كان مع نعومته أبرع مغنى « الفلامنكو» فى أداء « المالقيات  
malagueñas ، بنبراتهما الحزينة التى لها « مذاق ملح البحر »  
و « فى صوته شئ من بحر بلاضوء / وبرتقالة معصورة » .  
وفى قصيدة « مقهى غنائى » يقدم لنا الشاعر وصفاً لهذا  
النوع من المقاهى الذى كان شائعاً فى الأندلس قبل أن يقدم  
المغنون عروضهم على المسارح ، ويصف غناء «لولا» المعروفة  
بالبرّالا .... هذا الغناء العنيف الرجولى ذا الطابع المأساوى  
الذى يستحضر شبح الموت : « على الخشبة القاتمة / كانت  
البرّالا / فى حوار مع الموت / هو يدعوها ولكنها لا تأتى /  
فيدعوها من جديد» وكانت هذه المغنية تؤدى أغانى سيلفريو  
ببراعة واقتدار .

وبعد هذه القصائد التى يتحدث فيها عن مغنين ومغنيات  
وراقصات واصفاً أشخاصاً بأعيانهم مما يضيف عليها شيئاً



من الواقعية ، نرى مجموعة أخرى تدل على معاشة حميمة مع  
 الغجر ، إذ يصف فى لمسات خاطفة معتقداتهم وخرافاتهم  
 وقراءاتهم للغيب التى يتخذون منها مهنة كما نرى فى قصيدة  
 « رقية » ، ويشيع فى هذه القصائد التوجس من الموت مقترنا  
 بالحديث عن الأزهار والموسيقى وآلاتها ، فالموت هنا رفيق  
 للفن « حينما يحل بى الموت / ادفنوني مع قيثارتي / تحت  
 التراب / حينما يحل بى الموت / ادفنوني بين شجر البرتقال /  
 وأغصان النعناع / حينما يحل بى الموت / ادفنوني - إذا  
 أردتم - / فى وردة الرياح الدوارة / حينما يحل بى الموت »  
 والقصيدة تبدو مستوحاة من أبيات من مقام « السيجيريا » كان  
 مانويل توريس الغجرى يغنيها مفرغاً فيها كل إحساسه  
 المأساوى ، إلا أنه كان يربط فيها بين الموت والحبيبة : « حينما  
 يحل بى الموت / فإننى أوصيك بوصية / أن تربطى يديَّ /  
 بخصلة من صفائك السود » وتذكرنا كلتا القطعتين ببيتين  
 سبق إليهما أبو محجن الثقفى الذى قرن الموت بالخمير :

إذا مِتُّ فادْفِنْنِي إلى أصلِ كَرْمَةٍ      تُرَوِّى عِظَامِي بعدَ مَوْتِي عُرُوقَتَهَا  
 ولا تَدْفِنْنِي بالفلاةِ فَإِنِّي      أخافُ إذا مَامِتُ ألاَّ أذوقَهَا (١)  
 وينتهى الديوان بعدة مشاهد تمثيلية : مشهد ضابط الحرس  
 المدنى والغجرى ، وحوار « المر » - وهو اسم غجرى آخر - مع  
 فارس يهديه خنجراً وهما متجهان إلى غرناطة حيث يرتقبه  
 الموت ، ثم أغنية أم المرفى رثاء ولدها ... هى مشهد البطل  
 فيها دائماً هو الموت ...

(١) أمالى ابن الشجرى ، تحقيق محمود الطناحى ، القاهرة ١٩٩٢ ، ٢٨٧/١

## الرابع الديوان الغجرى

نأتى إلى رابع الدواوين ، وهو « الديوان الغجرى (Romancero gitano) (١٩٢٤ - ١٩٢٧) ، وهو يمثل مرحلة تالية للدواوين السابقة يبدو الشاعر فيها أكثر نضجاً وإحكاماً لأدواته الفنية ، وما أكثر ما دار الجدل حول «غجرية» لوركا حتى إن بعض قارئيه ، ولا سيما فى خارج إسبانيا ، تصوروا أنه هو نفسه غجرى ، مع أنه كان ، كما نعرف ، فتى مرفهاً مدلاً على حظ موفور من الثقافة الرفيعة ، وهذا ما حمل لوركا على أن يصرح بأن «غجريته» أدبية تتمثل فى ديوان شعر ولا أكثر من ذلك ، وفى مناسبة أخرى قال إنه « بحكم كونه غرناطياً متعاطف مع المضطهدين : مع الغجرى والزنجى الأسود ، واليهودى » .

لم يكن لوركا هو أول من تناول الموضوع الغجرى ، فقد سبقه إلى ذلك أدباء آخرون كان من أبرزهم سلفادور رويدا (١) Salvador Rueda أحد المنتمين إلى «الاتجاه الحديث» El Modernismo

(١) سلفادور رويدا (١٨٥٧ - ١٩٢٣) . شاعر مالقى كان من أول من رحبوا بالاتجاه الحديث وأيدوا إمام مذهبهم الشاعر النيكاراجوى روبن داريو ، وكان له تأثيره فى الجيل الأول من الآخذين بهذا المذهب مثل خوان رامون خيمينيث فى المرحلة الأولى من حياته الشعرية ، فقد أثنى عليه أونامونو وخوان قاليرا ، غير أنه لم يزد على كونه شاعراً متوسطاً من شعراء الصف الثانى ، ولهذا الشاعر ديوان بعنوان « بكائيات غجرية » (Trenos gitano) يلتقى فى بعض قصائده بشعر لوركا .

وفى شعره تصوير لما كان الغجر يعانون من سوء المعاملة ، ويبدو أن لوركا تأثر به فى الطابع المأساوى الذى عبر عن محنة هذه الطائفة ومنهم الكاتب الغرناطى أنخل جانيثيت Angel Ganivet (١) الذى دافع عن الغجر وعدّهم مصدر أصالة ثقافية فى مواجهة ماسمّاه « الثقافة الأوربية الباردة » التى كان جانيثيت يكن لها غير قليل من الاحتقار ، ولهذا فقد دعا إلى أن يعامل المجتمع الإشباني الغجر بما يسمح باندماجهم فيه ، ومع ذلك فقد كان تناول هذين الأديبين لموضوع الغجر عارضاً قليل الأثر ، أما لوركا فإليه يرجع الفضل فى اتخاذ مادة لعمل أدبى ارتفع به إلى قمة جمالية عالية .

وتقدم قصائد الديوان أيضاً تجديداً مهماً ، هو العودة إلى استخدام بحر عروضى شعبى هو الذى يدعى « الرومانشى » أو البحر المثلث (أى ذا المقاطع الثمانية ) ، وكان النظم فيه قد هجر؛ إلا أن الرومانسيين الإشباني كانوا قد عادوا إلى استخدامه خلال القرن التاسع عشر، وفى أواخر هذا القرن صاغ فيه كثيراً من القصائد الشاعران خوسيه ثوريا (١٨١٧ - ١٨٩٣) وأنتونيوماتشادو (١٨٧٥ - ١٩٣٩) غير أن هذين الشعارين قد استخدما هذا البحر فى قصائدهما ذات الطابع القصصى ، أما

(١) أنخل جانيثيت (١٨٦٥ - ١٨٩٨) : قصاص وكاتب مقالات يعد من الممهورين لجيل ١٨٩٨ ، لما فى فكره من عمق ، توفى منتحراً وخلف عدداً من الروايات والكتب ذات الطابع الفكرى ، من أهمها « أفكار إشبانية Idearium español » وفيه محاولة جادة لتحليل الشخصية الإشبانية .



لوركافقد كان معتمدة في غنائياته ذات الطابع الشعبى  
عائداً به إلى أصوله الأولى (١)

وتناول لوركا للموضوع الغجري يختلف عن تناول  
الأديبين السابقين عليه ، وهما جانيفيت ورويدا ، فالأول يطرح  
هذا الموضوع من وجهة نظر فكرية واجتماعية ، والثانى وهو  
أقرب إلى شاعرنا لا يهتم إلا بالظواهر الفولكلورية الصارخة  
التي لفتت الأنظار إلى حياة الغجر ، ولهذا جاء تصويره شكلياً  
بعيداً عن العمق ، أما لوركا فإنه هو الذى غاص فى أعماق هذا  
العالم ملتمساً أبعاده الإنسانية مصوراً صلابته وتشبثه  
بهويته على الرغم من كل ما تعرض له من تنكيل اضطهاد ، ثم  
ما يمثله فى دنيا الفن ولا سيما فى مجالى الموسيقى والغناء ،  
وربما كان « رد الاعتبار » للجنس الغجرى هو أعظم انتصارات  
« الديوان الغجرى » .

هناك ثلاثة عوالم تتناولها قصائد الديوان : عالم علوى  
سماوى أبطاله من الملائكة والقديسين والعذراء مريم فى  
مختلف تجلياتها بحسب التصورات الشعبية ، وعالم أرضى

(١) هذا البحر هو أقدم البحور العروضية وأكثرها شيوعاً فى الشعر الإشبانى منذ  
بداياته وخلال شطر كبير من العصور الوسطى ، وظل شعراء العصر الذهبى ولا سيما  
لوبى دى فيجا يكثرّون من استخدامه ، إذ إنه يوافق الروح الشعبية التى كان هذا الشاعر  
يمثلها خير تمثيل ، ومن الطريف أن نذكر أنه يوافق فى تقطيعه مجزوء الرمل (فاعلاتن  
فاعلاتن) من بحور شعرنا العربى ، ولذلك استخدمه الوشاحون الأندلسيون فى  
الخرجات العجمية التى تنتهى بها موشحاتهم ، ومن هؤلاء الأعمى التطيلى فى موشحته  
التي مطلعها =

واقعى تضطرب فيه شخصيات إنسانية من دم ولحم بكل ما  
يعتمل فى نفوسها من حب وبغض وفرح وحزن ، وفيه تواجه  
هذه الشخصيات - وهى فى الغالب غجرية - الحرس المدنى  
رمز الحضارة الحديثة بكل قسوتها وتجردها من المشاعر  
الإنسانية ، وهناك بين هذين العالمين عالم ثالث نشهد فيه ما  
يكن فى قاع النفسية الغجرية من إيمان بالخرافات وما يشيع  
على ألسنة الغجر من تنبؤات ولعنات ، وهذا العالم الأخير هو  
الأكثر إثارة للاهتمام واتساماً بالأصالة وحفولاً بالصور  
الشعرية : الريح كعملاق يطارد الغجر ، الدم فى حية منذرة  
بأشد النبوءات شؤماً ، الموت المفاجئ القلق المسيطر ، على  
النفوس ، القمر المنذر بالنهاية الفاجعة ، على أن توزيع قصائد  
الديوان على هذه العوالم الثلاثة ليس قاطعاً ؛ إذ يتداخل بعضها  
فى بعض ، كما نلاحظ أن القصائد الثلاث الأخيرة من الديوان  
لا صلة لها بعالم الغجر ، ونحن نعنى بها « القصائد التاريخية »  
التي تضم « استشهاد القديسة أولاليا » والقصة التوراتية  
« ثامار وآمنون » .

لحظات بابلية      ملأت قلبى عشقا

ولى ثغر مفلج      لائى منه موقى

إذ أنهى هذه الموشحة بخرجة تمتزج فيها الألفاظ العربية بالعجمية .

ألب ديه إشت ديه      ديه دل عنصر حقاً

بشترى ميو المديج      ونشق الرمح شقاً

فالشطر الأول (وترجمته : ياله من يوم مشرق / هو يوم العنصرة أى عيد الشعانين )

وهو ينتمى إلى البحر المثنى وإلى مجزوء الرمل فى نفس الوقت ، وقد سجلنا هذه الظاهرة

فى بحثنا فى كتاب « أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية » ، فصل الأدب ص ٤٧ - ٤٨ .

أما العالم العلوى فيضم ثلاث قصائد عن ثلاثة من القديسين : ميغيل وراقايل وجابرييل ، وهم فى اعتقاد الأندلسيين رعاة المدن الثلاث : غرناطة وقرطبة وإشبيلية على التوالى . ويسوقنا هذا إلى الحديث عن مدى تدين لوركا وهى مسألة اختلف فيها الباحثون بين منكر ومثبت ، والسبب فى ذلك هو اضطراب مواقف لوركا نفسه بين التدين الكاثوليكي الشعبى والشيطانية وضرب من التصوف الساذج .

وقد كانت هذه القضية موضع بحث من الكاتب الناقد دياث بلاخا الذى اختصها بصفحات من كتاب لوركا (١) وفى هذه الصفحات أشار إلى ما فى حياة الشاعر من تناقض انعكس على نتاجه الشعرى ، فهو فى باكورة أعماله الشعرية « كتاب القصائد» يبدو متأثراً بما شاع فى أواخر القرن التاسع عشر فى أوربا من نزعات إلحادية تمثلت عند بعض الشعراء الفرنسيين من أمثال بودلير (١٨٢١ - ١٨٦٧) ورامبو (١٨٥٤ - ١٨٩١) وفى النزعة الشيطانية التى أدت بهم إلى التمرد على الدين ومهاجمة الكنيسة والسخرية من رسومها وطقوسها . فنحن نرى لوركا فى تقديمه لهذا الديوان الأول (٢) يعلن أنه زاهد فى فردوس الله الذى يراه « باعثاً على الملل » ، وأنه يفضل

(١) دياث بلاخا : لوركا ص ٦٨ - ٧٢ .

(٢) هذا ما يقوله الكاتب ولا بد أن هذا التقديم كان فى الطبعة الأولى من الديوان (مدريد ١٩٢١) ، غير أنه حذف من طبعات " الأعمال الكاملة " للشاعر ، ولسنا ندري إن كان هذا الحذف من عمل لوركا أو من جامعى أعماله الكاملة .



الشیطان صديقه الذى يمنحه المتع الأرضية (١) . وربما خطر ببالنا لأول وهلة أن مثل هذه العبارات كانت ضرباً من التماجن والعبث الذى لا يستبعد صدوره من شاعر يتعبد بمتع الحياة ولذاتها ولا سيما وهو في فورة الشباب ، غير أن الذى نعرفه عن لوركا على امتداد عمره أنه كان لا يحفل كثيراً بالعبادات المسيحية ولا يواظب على الصلاة فى الكنيسة ، وهو ما كان يبعث شيئاً عن النفور والضيق فى نفوس جيرانه وأهل بلده ، الذين كان التمسك بشكليات التدين ومظاهره من أكثر ما يقيمون له وزناً ، كذلك نعرف أنه وهو فى آخر حياته - وكان حينئذ فى مدريد - ألقى خطاب افتتاح الأسبوع المقدس فى غرناطة (فى مارس ١٩٣٦) من إذاعة مدريد ، وفي هذا الخطاب دعا الغرناطيين إلى التخلي عن المواكب الدينية «السخيفة» التي جرت العادة بعرضها فى شوارع المدينة ، وإلى نبذ ما ينادي به «التهوس الديني» من صبغ قصر الحمراء بالصبغة المسيحية ؛ فالحمراء فى نظره «ستظل دائماً عربية إسلامية» (٢)

وفى لقاء أجراه معه رسام الكاريكاتير باجاريا Bagaria فى نفس هذه السنة آخر سنى حياته (١٩٣٦) يسأله محاوره :  
- هل ترى أن تسليم مفاتيح غرناطة كان عملاً موفقاً ؟  
(يقصد استسلام غرناطة المتمثل فى تسليم آخر ملوكها المسلمين أبى عبد الله مفاتيح المدينة للملكين الكاثوليكين) .  
- بل كانت لحظة مشئومة وإن كانوا يرددون عكس ذلك

(١) دياث بلاخا : لوركا ص ٦٩ .

(٢) بيلاسان خوان : مصرع لوركا ص ٥٤ .

فى المدارس . لقد فقدنا منذ هذه اللحظة حضارة جديرة  
بالإعجاب .. فقدنا شعراً وفلكاً وعمارة وفناً ورهافة حس لا  
مثيل لها فى العالم ، لكى يتحول بلدنا بعد ذلك إلى مدينة فقيرة  
جبانة ... بلد تضطرب فيه أسوأ « البرجوازيات » الإسبانية ! (١)  
وفى حوار آخر مع الأديب إيرنستو خيمينث كاباييرو  
Jinénez Caballero يسأله هذا عن صديق له من الشخصيات  
التاريخية القديمة فيجيبه : «أبو عبد الله » ( بالإسبانية  
Boabdil ) وفى حديث مع الكاتب الصحفى خيل بن أمية (٢)  
( سنة ١٩٢١ ) يصرح له الشاعر بقوله :

- أصلى الغرناطى يجعلنى أتعاطف مع جميع المضطهدين :  
مع الفجرى والزنجى واليهودى والمورىسكى . فنحن نحمل  
أرواح هؤلاء فى أعماق أنفسنا . غرناطة هى روح الرقصة

(١) الأعمال الكاملة للوركا نشر دار أجيلا ، مدريد ١٩٦٢ ، ص ١٧٦٣ - ١٧٦٤ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٦٥٤ .

(٣) رودلفو خيل بن أمية Rodolfo Gil Benumeja كاتب وأديب إسباني  
يدين باسمه إلى أنه من سلالة مورىسكية فجدّه الأعلى Benumeja كان زعيم  
المورىسكيين الذى قاد آخر ثورة مسلحة على السلطات المسيحية الإسبانية فى جبال  
البشرات las Alpujarras (بين سنتى ١٥٧٨ و ١٥٨٠) فى أيام فيليب الثانى ، وكثير  
من كتاباته يدور حول الحضارة الأندلسية الإسلامية وفضلها على إسبانيا وأوربا ، وقد  
توفى فى أوائل السبعينيات وله ابن يدعى باسم أبيه Rodolfo واصل عمل أبيه فى  
المجال الثقافى ، وقد تولى إدارة المركز الثقافى الإشباني فى القاهرة فى الستينيات .

الموريسكية الـ Zambra = الزمرة ) التى أخذت بمخنق  
الغجرى ، والغجرى هو قناع الأندلسى (١) .

غير أن للوركا مع ذلك قصائد دينية منها تلك القصائد  
الواردة فى « الديوان الغجرى » ، والتى يتغنى فيها للقديسين  
الذين يعدهم الأندلسيون رعاة مدنهم الثلاث : قرطبة وإشبيلية  
وغرناطة ، وقد رأينا من قبل فى « ديوان الغناء العميق » يتغنى  
للعذراء وينظم بعض قصائد « الصائتة » التى يتغنى بها فى  
مواكب الأسبوع المقدس . وفى أعماله الكاملة قصيدة بعنوان  
« ابتهاج إلى سر القربان المقدس » (٢) نحس فيها بالشعور  
المسيحى على نحو أكثر عمقاً وحرارة كما نحس أيضاً بذلك فى  
قصيدته « استشهد القديسة أولاليا » الواردة فى الديوان  
الغجرى وفيها يقص علينا مصرع هذه الفتاة المسيحية فى  
مدينة ماردة Mérida ( فى غرب إسبانيا ) على أيام  
الإمبراطور الرومانى ديوقليكيانوس ، وكانوا قد مثلوا بها  
فقطعوا ثدييها ثم أحرقوها بالنار حية .

هذه الشواهد التى تدل على التدين مناقضة لما سبق أن  
ذكرناه من ضعف الشعور الدينى المسيحى عند لوركا ، ومع  
ذلك فلسنا نرى فى الأمر تناقضاً حقيقياً ، وذلك لأن تدين  
لوركا كان فى الحقيقة استجابة « فنية » لما تحفل به الطقوس

(١) الأعمال الكاملة للوركا ، ص ١٦٥٨ - ١٦٥٩ .

(٢) الأعمال الكاملة ص ٥٥٤ - ٥٥٥ ، والمنشور من هذه القصيدة هو جزء منها لأن  
باقيها قد ضاع على ما يبدو ويمكن أن نضيف إلى ذلك قصيدة للوركا بعنوان « خلوة »  
نظمها تحية للشاعر والكاتب الدينى الراهب لويس دى ليون Fray Luis de León  
(١٥٢٧ - ١٥٩١) .



الكاثوليكية من مشاهد احتفالية تستثير الحواس ، بما فيها من أضواء وألوان ومواكب تعرض فيها صلبان مرصعة بالأحجار الكريمة وصور وتمائيل فائقة الصنعة ، وموسيقى وأغان يطرب لها المستمع ، وعروض تمثيلية بعضها بهيج مرح في أعياد ميلاد المسيح ، وبعضها حزين يثير الشجن في أيام الأسبوع المقدس ، أسبوع الآلام الذي يستحضر مشاهد تعذيب المسيح على أيدي الرومان واليهود .

تدين لوركا كان انفعالاً فنياً قبل كل شئ لا سيما حينما نذكر أن في تلك الاحتفالات الدينية في مدن الأندلس وفي غرناطة بصفة خاصة من الفخامة والجلال ما لا يشاهد في سائر مدن إسبانيا . وقد بلغ من تأثير لوركا بهذه الاحتفالات أنه في سنة ١٩٢٩ تقدم بطلب للانضمام إلى إحدى الجماعات الدينية التي تقوم بتنظيم مواكب الأسبوع المقدس ، واشترك في موكب تلك السنة حاملاً الصليب وماشياً وهو حافي القدمين في زي التائبين طوال مسيرة الموكب الذي طاف بشوارع المدينة (١) .

(١) أورد بيلاسان خوان ملاسبات هذا الحدث الطريف بالتفصيل في كتابه عن مصرع لوركا ص ٥٠ - ٥٥ ، ونشر معه صورة فوتوغرافية للصليب الذي حمله لوركا ولبطاقة عضويته في الجماعة الدينية المذكورة ومع ذلك فإننا نلاحظ في وصف لوركا لتمائيل العذراء والمسيح والقديسين إلحاحاً غريباً على التغنى بجمال الجسد وذكر أعضائه ولا سيما الأفخاذ والأرداف ، حتى يبدو تصويره كما لو كان ضرباً من الغزل بالمذكر ، وقد تصيد فرانسسكو أومبرال هذه الظواهر لكي يربط بينها وبين تفسيره لكل أدب لوركا على أنه نابع من العقدة الجنسية التي لازمته . (أنظر كتابه لوركا الشاعر الرجيم ص ٨١ - ٨٤) .

ولندع قضية تدين لوركا وما تثيره من جدل لنتحدث عن العالم الثانى الذى ينتظمه « الديوان العجربى » وهو العالم الأرضى الذى تضطرب فيه شخصيات البشر يذكرون أحياناً بأسمائهم . وفى هذا القسم تندرج قصائد « مشاجرة » حيث نشهد خناجر « البسيط » (١) تلتمع فى قرارة الوادى مخلفة وراءها حية من الدماء ، وجسداً لعجربى يتدحرج على سفح المنحدر ثم قصيدتى « أنتونيو الكامبوريو » حينما قبض عليه جنود الحرس المدنى وهو فى طريقه إلى إشبيلية يحسدون ثم مقتله على أيدى بنى عمومته الذين كانوا يحسدون فيه مالا يحسدونه فى غيره من الشباب ، وبعد ذلك تأتى القصيدة الطويلة التى يصور فيها « مدينة العجرب » فى احتفال دينى يقيمونه وادعين مسالمين ، وإذا بهم يفاجأون بفرقة من فرسان الحرس المدنى تغير على المدينة فتضرم النار فى أكواخها وتحيلها إلى أطلال وخرائب. وفى القصيدة نرى دفاعاً عن العجرب وتنوياً بحياتهم الوادعة المسالمة التى تتعرض بغير مسوغ لبطش السلطة وعدوانها الغاشم .

وربما كانت أشهر قصائد هذا الجزء قصيدة « الزوجة الخائنة » وهى تحكى تجربة تبدو كما لو كانت واقعية ؛ إذ نرى الشاعر يقصها بضمير المتكلم ، ولوأن نهايتها تشى بغير ذلك ،

(١) البسيط Albacete : مدينة تدين باسمها ونشأتها العرب الأندلس ، بنيت فى أواخر عهد المرابطين قبل منتصف القرن الثانى عشر الميلادى فى إقليم « لامانتشا » La Mancha الذى يقع بين سواحل إسبانيا الشرقية والهضبة الوسطى ، وكانت مدينة صغيرة ثم زاد عمرانها بعد استيلاء المسيحيين عليها حتى أصبحت اليوم عاصمة لمحافظة تحمل اسمها وقد اشتهرت بصنع نوع جيد من الخناجر والمدى

فحاكى القصة يقول إنه تصرف مع تلك الزوجة بما تمليه عليه طبيعته « كغجرى أصيل » ، ولوركا كما نعرف لا تربطه بالغجر صلة نسب أو قرابة ، ومع ذلك فالقصيدة رائعة فى تصوير تلك المغامرة الغرامية التى تتوهج فيها الشهوة العارمة والجو المثير المحيط بها من أشجار وأزهار وظلام مطبق .

والعالم الثالث من عوالم لوركا هو عالم الأحلام والتوجسات الرهيبة والأشباح والتنبؤات والهواجس وكل ما استقر فى نفسية الغجرى من قلق وتوقع للمكروه ، وكل ذلك ثمرة لما تعرض له خلال قرون طويلة من تنكيل ومطاردة واحتقار . ونرى فى هذا الجزء ، وهو يضم بقية قصائد الديوان شبح الموت المتوقع يبسط جناحيه على جو المشاهد الشعرية ، عنوان القصيدة الأولى « القمر القمر » ، والقمر فى شعر لوركا كله رمز للموت .

الديوان يبدو تصويراً « لأندلس البكاء » حسب تعبير لوركا نفسه ، وإذا كان يحمل فى عنوانه ما يشير إلى مأساة الغجر بصفة خاصة فإنه فى الحقيقة تصوير لمأساة الأندلس كلها . الأندلس التى تعاقبت عليها الحضارات وتواتر عليها الغزاة الفاتحون : فينيقيون وقرطاجيون ورومان وقوط جرمانيون وعرب مسلمون قادمون من الشرق أو من الشمال الإفريقى وأقوام لا يدرى أحد من أين قدموا ، أجناس أقبلوا بثقافتهم ولغاتهم وأديانهم فانصهروا فى بوتقة هذه الأرض ، ولكن امتزاجهم لم يتم فى رفق ويسر ، بل صحبه توتر شديد وصراع أشد ، ولعل أشد صراع شهدته أرض الأندلس وأقربه



إلى التاريخ الحديث هو ما دار بين المسلمين وأعدائهم ومساكنتهم من أهل الشمال « هو صراع تبادل فيه الجانبان الانتصارات والهزائم ، والحب والبغض ، وانعكس ذلك على نفسية أندلس اليوم فصبغ هذه الأرض بذلك اللون المأساوى الذى رأيناه فى كثير من النتاج الأدبى لشعراء هذه المنطقة من جنوب إسبانيا وكتابها ، غير أن لوركا هو الذى أصبح خير معبر عن تلك المأساوية على نحو لم يتح لأديب قبله .

وإلى جانب سيطرة الموت على جو الديوان ولاسيما فى تصوير ذلك العالم الثالث الذى يحفل بالرؤى والأحلام ، فإن أبرز ما يتسم به هو غرابة الصور وجرأة الاستعارات مما نراه مثلاً فى قصيدة « الجميلة والهواء » على الرغم من استخدامه ألفاظاً تبدو من لغة الخطاب العادية .

ولعل أشهر قصائد هذا الجزء هى قصيدة « السائر نائماً » التى تدور فى جو من الأحلام ، وهى تبدأ بقطعة يعرب الشاعر فيها عن حبه لفتاة غجرية ، ويتكرر فى هذه المقدمة ذكر اللون الأخضر يصف به الريح والأغصان وجسد الفتاة وشعرها وعينيها ، ويبدو من تعبيرات الشاعر الغائمة أن هذه الفتاة تنتظر رجلاً لا ندرى من هو ولا من أين هو قادم . ثم فجأة يظهر رجلان يتحدثان عن صديقة يعرض فيها أحد الرجلين على الآخر مبادلة منزله بحصان . ولنذكر أن المتاجرة فى الخيل من أكثر ما اختص به الفجر فى ريف الأندلس ( ١ ) ، وأحد

( ١ ) كنا فى بحث سابق قد زعمنا أن وجود الفجر فى إسبانيا لا يرجع إلى أواخر

القرن الخامس عشر كما يذكر المؤرخون الإسبان ، وإنما كان أقدم من ذلك بكثير ، وفى

الرجلين جريح ينزف دماً ، ومع أن الحوار بين الرجلين فى بعض أجزائه يبدو واقعياً يشير إلى أحداث محددة فإنه لا يلبث أن يلفه الغموض ، إذ يبدأ الجريح فى الهذيان فنراه يرغب فى « الصعود إلى شرفات القمر ، حيث ينحدر الماء مدوياً » ، ويبدو أن الفتى الجريح يبحث عن تلك « المرأة الخضراء » ، ولكنها لا تظهر رغم طول انتظارها ، وهنا نجد نقلة مفاجئة مثل تلك التى تحدث فى الأحلام ، إذ يبدو أن الفتاة التى كانت تطل من الشرفة قد غرقت فى مياه الجُب . . . . . ويصعد الرجلان إلى شرفات القمر تاركين وراءهما خيطين : واحداً من دماء والآخر من دموع !

وتلى هذه القصيدة فى الشهرة ، وإن كانت أكثر واقعية ، قصيدة « الألم الأسود » ، والحديث فيها عن غجرية يذكرها الشاعر باسمها « سوليداد مونتويا » ، وتبدأ القصيدة بتحديد زمن الحدث وهو نزولها من الجبل القاتم فى وقت غير معتاد يعبر عنه الشاعر بصورة طريفة : « معاول الديكة - يعنى مناقيرها - تحفر الأرض بحثاً عن الفجر ، ومنذ البداية نرى

= ظل الحكم العربى للأندلس ، واستشهدنا بنصوص كثيرة على أن طوائف ( نعتقد أنهم من الزُطَّ ) حياتهم تشبه حياة غجر الجنوب كانت تعيش فى نفس المناطق التى يوجدون فيها اليوم : فى إشبيلية و شريش وقادس وغرناطة ، وكانت تمتهن نفس المهن التى يشتغل بها الفجر اليوم ، ومنها قراءة الغيب والتنبؤيه والرقص والغناء وتجارة الخيل مع كثير من الحيل فى خداع المشتريين . وفيما يتعلق بهذه التجارة استشهدنا بزجل لابن قزمان القرطبى يذكر فيه كيف خدعه أحد هؤلاء فباعه أو أكرى له بغلاً كان قد سقاه عقاراً ، فبدأ نشيطاً قوياً يتحمل مشقة السفر إلى أى مكان أراد ، ثم لما مضى به ابن قزمان إذا به يتهاوى على سوقه فقد كان بغلاً مفلوجاً لا يصلح لشيء ( أنظر ديوان ابن قزمان بتحقيق فيديريكو كورينتسى ، الزجل رقم ٨٤ ص ٢٦٠ - ٢٦١ ، )) ويحثنا المذكور بعنوان « الفجر فى إسبانيا بين الإسلام والمسيحية » ، مجلة المجلة ، القاهرة ، العدد ٨١ ، سبتمبر ١٩٦٢ ص ٤٦ - ٥١ ) . وأنظر بصفة خاصة ص ٥٠ .

جو الموت يهيمن على المشهد والأحداث ، ويدور حوار بين الشاعر والفجرية نفهم منه مدى الألم الذى يعتصر هذه المرأة ، وهى لا تفصح عن سر هذا الألم ، ولكن حديثها يدل على أنها تنتظر رجلا لن يعود ، فهى تجرى من المطبخ إلى الفراش ، وقد صبغ الألم جسدها وثيابها بالسواد . . . .

وينهى الشاعر القصيدة موحيا لنا بأن ماتعانيه الفجرية ليس يخصصها وحدها ، بل هو ألم الجنس الفجرى كله . . . ألم « ذو مجرى خفى وفجر بعيد » ! وفى وسعنا أن نطلق القول ، فنفترض أن لوركا لم يعن الفجر وحدهم ، بل كان يشير إلى مأساة الشعب الأندلسى كله .

وفى قصيدة « المحكوم عليه بالموت » يصور لنا لوركا موت « المر » هذه الشخصية التى رأيناها من قبل فى قصيدة « الغناء العميق » ، ويحدد التاريخ المرتقب ( ٢٥ أغسطس ) ... الموت هنا يستدعى فيأتى فى مواعده بغير أدنى تأخير . ويذكر ديات بلاخا أن هذا الاستدعاء للموت يبدو مأخوذاً من التراث العربى ، ففي كثير من أخبار مسلمى الأندلس نرى كيف يتنبأ الرجل بموته فى تاريخ محدد فتصح نبوءته ، ويضرب على ذلك مثلاً بما يذكره « ميغيل أسين بلاثيوس ، Miguel Asin Palacios عن عبد الله بن العربى الذى دعا الله أن يموت بعد وفاة ابنه بأربعة وأربعين يوماً فاستجيبت دعوته (١) .

( ١ ) ميغيل أسين بلاثيوس : الصوفى ابن العربى ، فى مجلة المجمع اللغوى الملكى سنة ١٩٢٥ . هذا ويمكن أن نضيف أمثلة أخرى تشبه ما ذكره بلاثيوس منها ما يذكر فى ترجمة محمد بن القاسم بن شعبان رأس فقهاء المالكية المصريين على عهد الإخشيديين ، وكان يدعو على نفسه بالموت قبل دخول العبيديين أى الفاطميين إلى مصر ، فاستجيبت دعوته وتوفى سنة ٢٥٥ هـ قبل دخول جوهر الصقلى مصر سنة ٢٥٨ هـ . انظر ترجمته فى الديباج المذهب لابن فرحون ، القاهرة ١٣٥١ هـ ، ص ٢٤٨ .



والقصيدة الأخيرة هي « ثمار وأمنون » وموضوعها مأخوذ من قصة واردة في « العهد القديم » حول العلاقة المحرمة بين أمنون بن النبي داود وأخته ثامار التي يغتصبها ثم يهجرها (٢) .

وقد سبق أن ذكرنا أن هناك بعض القصائد في الديوان لا تدخل في دائرة عالم العجز وهي القصائد الثلاث الأخيرة . وقد تحدثنا عن إحداها وهي قصيدة استشهاد القديسة أوليا . أما القصيدتان الأخريان فأولاهما هجائية للفارس دون بدرو ، وهي مستوحاة من قطعة شعبية أوردها لوبي دي فيجا في مسرحيته « فارس أو ليدو El caballero de Olmedo » ، وفيها نشهد مقتل دون بدرو بليل تماماً مثلما قتل فارس أو ليدو .

وقد تناول هذا الموضوع من قبل لوبي دي فيجا في مسرحيته « رعاة بيت لحم Los pastores de Belén » ، ولو أن أقرب النصوص التراثية لقصيدة لوركا هو مسرحية تيرسو دي مولينا Tirso de Molina ، ( ١٥٨٠ - ١٦٤٨ ) بعنوان « انتقام ثمار » فقصيدة لوركا تتابع حرفياً الفصلين الأولين من مسرحية تيرسو ، غير أن الجديد هو تصوير لوركا لأمنون وهو يرقب أخته من مكنه في ليلة صيفية ، بينما هي مستلقية عارية في ضوء القمر . فهذا الوصف الذي تخلو منه مسرحيتا الشاعرين السابقين كان موافقاً لمزاج لوركا وولعه بتصوير مشاهد العلاقات الجسدية بما فيها من إثارة .

\* \* \*

( ٢ ) العهد القديم الإصحاح الثالث عشر من كتاب صموئيل الثاني ،

الآيات ١ - ١٤ من ٢٠٢ - ٢٠٣ .

وبعد ، فهذا عرض سريع لموضوعات الدواوين الأربعة  
التي نقدم لها بهذه الصفحات . وقد كان مجال القول فسيحاً  
في نتاج هذا الشاعر الذي يعد أعظم شعراء إسبانيا في القرن  
العشرين ، والذي شغل الناس منذ تفتحت موهبته الشعرية  
وهو في سن العشرين ، واختطفته يد الموت قبل أن يبلغ  
الأربعين ، بينما كان عالم الأدب يتوقع منه وهو في سن النضج  
عطاءً أثرى ونتاجاً أوفر .

لقد كان لوركا يحس منذ شبابه المبكر إحساساً غامضاً ،  
ولكنه صادق النبوءة بأن الموت كامن له « يلاحظه من حيثما  
يتلفت » على حد قول شاعرنا القديم ، وانعكس ذلك على الكثير  
مما نظم من شعر تضمنته هذه المجموعة ، وكان لوركا يشعر  
بأن مأساته بل ومأساة إسبانيا كلهما لن تكون إلا من قبل  
ذلك الداء الوخيم الذي ابتليت به إسبانيا قديماً وحديثاً :  
داء الحسد ! . . . عن هذا الداء تحدث ابن حزم القرطبي حينما  
ذكر أن الله خص الأندلس من حسد أهلها للعالم الظاهر فيهم  
بأضعاف مافي سائر البلاد . ( ١ ) ولعاصري لوركا صفحات  
كثيرة تكاد تتفق حتى في نصوصها الحرفية مع ما ذكره ابن  
حزم قبلهم بتسعة قرون ، منهم أونامونو Unamuno الذي أفرد  
للحسد المتأصل في إسبانيا مقالات عديدة ورواية كاملة  
بعنوان آبل سانتشيث Abel Sánchez جعلها صياغة حديثة  
لقصة قابيل وهابيل ( ٢ ) وللشاعر الأندلسي أنتونيو ماتشادو

( ١ ) ابن حزم الظاهري القرطبي : رسالة في فضل الأندلس ، في نفع الطبيب

للمقرئ ٢ / ١٦٦ - ١٦٧ .

( ٢ ) عن أونومانو وتصويره للحسد في هذه القصة انظر مقالنا « الفن القصصي

المعاصر في إسبانيا » ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، المجلد الثالث ١٩٧٢ .

Antonio Machado ، الذى كان لوركا يعده أستاذاً له قصة صاغها  
نثراً وشعراً بعنوان « أرض ألبر جونتالث - La tierra de Alvar  
González » ( ٢ ) . وللشاعر الغرناطى لويس روسالس Luis  
Rosales الذى لجأ لوركا إلى منزله قبل مصرعه بأيام ، عبارة فى  
التعليق على مقتل صديقه يقول فيها :

« إسبانيا بلد ثمرة النجاح والتميز فيه مسمومة ، والشهرة  
لا تعود على صاحبها بمال ولا تقدير ولا أى لون من ألوان  
المنفعة ، وإنما تجلب له أخطأ أنواع الحسد وأشدّها إيغالاً  
فى الشر . وقد كان أكثر الناس حسداً لفيدريكو هم  
أهل غرناطة » . ( ٤ )

نعم ، كان الحسد هو الذى قتل لوركا ! . . . هذا الحسد  
الذى حدثنا لوركا نفسه عنه فى قصيدته عن مقتل أنتونيو  
الكامبوريو على أيدي أبناء عمومته ؛ « لأنهم كانوا يحسدون  
فيه ما لم يحسدوه فى غيره » . وكأن ذلك الغجرى كان مرآة  
يرى فيها شاعرنا نفسه ! . . .

★ ★ ★

( ٢ ) قمنا بترجمة النص الثرى للقصة ، ونشرت الترجمة فى مجلة « دعوة  
الحق » ، والرباط ، أكتوبر ١٩٦٢ ، والجزء الأخير من النص الشعرى فى مقال « الشعر  
المعاصر فى أسبانيا وأمريكا اللاتينية » ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، المجلد الرابع  
١٩٧٣ .

( ٤ ) بيلسان خوان : مصرع لوركا ص ٢٦٢ .



## خاتمة

عن هذا المصراع يقول أنتونيواتشادوفى مرثيته له :  
١ - الجريمة :

كان يسير محفوفاً بالبندق  
فى طريق ضيق طويل  
خارجاً إلى الحقل البارد  
وما زالت فى السماء نجوم الفجر .  
لقد قتلوا فيديريكو

حينما كان نور الفجر يطل على الأفق .  
لم تجرؤ كتيبة الجلادين  
على أن تشخص بأبصارها إلى وجهه  
بل أغمض الجميع عيونهم  
وهم يهتفون : حتى الله لن يستطيع إنقاذك !  
قتيلاً سقط فيديريكو  
- دماء على الجبين ورصاصة فى الأحشاء -  
... فى غرناطة تمت الجريمة  
نعم ... فى غرناطة المسكينة ... فى غرناطة !

## ٢ - الشاعر والموت :

كان يرى وحيداً والموت يسايره  
لم يكن يحس بالخوف من منجله المعقوف  
- أشعة الشمس تنتقل من برج إلى برج  
والمطارق على السندان ... على سندان المصاهر -  
وكان فيديريكو يتحدث مغالاً الموت

والموت يستمع إليه فى صمت :  
« ما أكثر ما ترددت فى شعرى أيها الرفيق  
صفقات كفوفك اليايسة !  
وما أكثر ما ألقى فى غنائى مرارة الحنظل !  
وما أكثر ما أعرت مسرحياتى حد منجلك الفضى !  
سوف أغنى للحم الذى تجردت منه عظامك .  
سوف أغنى للعيون التى أفرغت منها جمجمتك  
ولشعر ك الذى طارت به الرياح  
وللشفاه الحمر التى طالما طبعت عليها قبلااتك !  
واليوم كالأمس أيها الموت الغجرى ... موتى أنا  
ما أسعدنى برفقتك وأنا أمضى معك وحيداً  
بين نسيمات غرناطة ...  
غرناطتى أنا ...

٣ - .....

كان يرى وهو ماض فى الطريق ...  
اصنعوا أيها الأصدقاء  
نصباً للشاعر  
نصباً من أحجار وأحلام فى حمراء غرناطة  
على نافورة لا يكف ماؤها عن البكاء  
وهو يردد نشيده الأبدى :  
... فى غرناطة تمت الجريمة  
نعم ... فى غرناطته ! ...

- ١ -

# الأغاني الأولى

( ١٩٢٢ )





بِرَك

سَرَو

(ماء آجن)

حَوْر

(ماء بَلُورِي)

صفصاف

(ماء عمیق)

قلب

(ماء حدقة).

## بركة صغيرة

نظرت إلى نفسي في عينيك  
وفكرى في روحك .

( دقلى بيضاء )

نظرت إلى نفسي في عينيك  
وفكرى في ثغرك .

( دقلى حمراء )

نظرت إلى نفسي في عينيك  
ولكنك كنت ميتة

( دقلى سوداء ) .

## تنويع

بركة الهواء

تحت غصن الصدى .

بركة الماء

تحت خميلة الشهب .

بركة ثغرك

تحت كثافة القبل .

## بركة : أغنية أخيرة

ها قد أقبل الليل .  
أشعة القمر  
تطرق سندان المساء .  
ها قد أقبل الليل .  
شجرة كبيرة تتدثر  
بكلمات الأغاني  
ها قد أقبل الليل .  
لو أنك أتيت لرؤيتي  
عبر دروب الهواء  
ها قد أقبل الليل .  
كنت ستجدينني باكياً  
تحت أشجار الحوار الكبيرة .  
آه يا سمراء !  
تحت أشجار الحور الكبيرة .



## هلال

القمر ينقذ في الماء .  
ما أهدأ السماء !  
ينقذ حاصداً ببطء  
ارتعاش النهر العجوز  
بينما غصن فتى  
يتخذه مرآة .

## أربع أناشيد صفراء

- ١ -

فى أعلى ذلك الجبل  
شجرة خضراء .  
أيها الراعى الذهاب ،  
أيها الراعى القادم ،  
شجرات الزيتون الغافية  
تنزل إلى السهل الحار ،  
أيها الراعى الذهاب ،  
أيها الراعى القادم .  
ليس لديك شياه بيضى ولا كلب  
ولا عصا ولا حب .  
مثل ظل ذهبى ،  
فى حقل القمح تذوب .  
أيها الراعى القادم .

— ٢ —

كانت الأرض  
صفراء  
حاشية ثوب .  
راع صغير .  
لم يكن هناك قمر أبيض  
ولا نجم يتألق .  
حاشية ثوب .  
راع صغير .  
قاطفة عنب سمراء  
تقطع بكاء الكرمة .  
حاشية ثوب  
راع صغير .

— ٣ —

ثوران أحمران  
في الحقل الذهبي .

للتورين إيقاع  
الأجراس القديمة  
وعيون طائر .  
يهبان أنفسيهما للصباح  
المغلف بالضباب  
ولكنهما يحفران  
برتقالة الهواء في الصيف .  
هما عجوزان منذ مولدهما  
ولا صاحب لهما  
وهما يذكران أجنحة  
جنبيهما .  
الثوران  
يسيران وهما يزفران  
عبر حقول « راعوث »  
بحثاً عن المخاضة ،  
وقد سكرا من نجوم الصباح  
لكي يجتراً بكاءهما .  
ثوران أحمران  
في الحقل الذهبى .



على سماء الأقحوان  
أمشى  
أنا أتخيل نفسي هذا المساء  
كما لو كنت قديساً .  
لقد وضعوا القمر  
بين يديَّ  
فعدت إلى وضعه من جديد  
في آفاق الفضاء  
وكافأني الرب على ذلك  
بأن منحني الوردة وهالة القداسة .  
على سماء  
الأقحوان أمشى  
والآن أجدني سائراً  
في هذا الحقل  
لكي أحرر الصبايا  
من مغازليهن الأشقياء  
وأهب لكل الصبيان  
نقوداً من الذهب .  
على سماء  
الأقحوان أمشى .

# طروس

( إلى خوسيه موريثو بيا )

- ١ -

## مدينة

الغابة ذات السنوات المائة  
تتفد إلى المدينة ،  
ولكن الغابة موجودة  
في داخل البحر .  
هناك سهام في الهواء  
ومحاربون يسرون  
تائمين  
بين أغصان المرجان .  
وعلى البيوت الجديدة  
تتموج غابة من شجر السنديان  
والسمااء لها تعاريج هائلة  
من البُلُور .

## قَمَرٌ

فى الممرات العالية

رجلان يتنزهان .

( سماء

جديدة

سماء

زرقاء ! )

... رجلا يتنزهان

كانا من قبل من الرهبان البيض .

( سماء

وسطى

سماء

بنفسجية ! )

... رجلا يتنزهان

كانا من قبل صيادين .

(سماء)  
قديمة  
سماء  
من ذهب !  
... رجالان يتنزهان  
كانا من قبل ...  
ليل .



## الصفحة الأولى

( إلى ربييتي إيزابيل كلارا )

عين صافية .

سماء صافية .

آه ، كما تتضخم

الطيور !

سماء صافية .

عين صافية .

آه ، كم تتألق

البرتقالات !

عين .

سماء .

آه ، يا للقمح

كما هو غض !

سماء .

عين .

آه ، يا للقمح  
كم هو أخضر !

## آدم

شجرة من الدم تبلل الصباح  
حيث ينطلق زحير امرأة فرغت من الولادة .  
يترك صوتها فتاتاً من البلور في الجرح  
ورسماً للعظم مطبوعاً على النافذة .  
بينما النور الذي يأتي ثابتاً  
فيصيب أهدافاً بيضاء أسطورية ،  
ينسى جلبة العروق في هروبه  
نحو نضارة التفاح العكرة .

آدم في الحمى الفخارية يحلم  
بطفل يقترب راكضاً  
في نبضات خده المزدوجة .

ولكن هناك آدم آخر غامضاً  
يحلم بقمر محايد من حجر بغير بذور  
حيث طفل النور سيذهب محترقاً .

## بياض ساعة

جلست

فى بياض الزمن .

كان بركة راكدة

للصمت .

لصمت أبيض .

خاتم هائل

حيث نجوم الصباح

تصطدم بالأرقام الطافية الاثنى عشر ،

الأرقام السوداء .



## أسيرة

بين الأغصان  
المتحيرة  
كانت صبية تسير  
هي الحياة .

بين الأغصان  
المتحيرة .

بمراة  
كانت تعكس النهار  
المتألق  
من جبينها الصافى .

بين الأغصان  
المتحيرة .  
على الظلمات  
كانت تسير تائهة

وهى تبكى بقطرات ندى  
للزمان الأسير  
بين الأغصان  
المتحيرة .

## أغنية

بين أغصان شجر الغار  
هناك حمامتان داكنتان .  
كانت إحداهما الشمس ،  
والأخرى القمر .  
قلت لهما : يا جارتى  
أين مدفنى ؟  
قالت الشمس : فى ذيلى .  
وقال القمر : فى زورى .  
وبينما كنت متخذاً طريقى  
وقد غمرنى التراب إلى خصرى  
رأيت نسرين من الرخام  
وصبية عارية .  
كان أحد النسرين هو الآخر  
والصبية كانت لا شئ .

وقلت للنسرين :

أين مدفنى ؟

قالت الشمس : فى ذيلى .

وقال القمر : فى زورى .

بين أغصان شجرة الكرز

رأيت حمامتين عاريتين ،

كانت إحداهما هى الأخرى

وكانت الاثنتان لا شئ .



- ٢ -

# أغانى ( ١٩٢١ - ١٩٢٤ )

إلى بدرو سالىناس  
وخورخى جيئن  
وملتشور فرنانديث الماجرو



# نظريات

## أغنية العذارى السبع

( نظرية قوس قزح )

العذارى السبع

ماضيات فى الغناء .

( على السماء قوس

لنماذج من الغروب )

روح ذات سبعة أصوات

العذارى السبع .

( فى الهواء الأبيض

سبعة طيور كبيرة )

العذارى السبع

يأتى عليهن الموت .

( لماذا لم يَكُنْ تسعاً ؟

لماذا لم يَكُنْ عشرين ؟ )

النهر يأتى بهن .

ولا أحد يستطيع رؤيتهن .

## ليالية مختصرة

رازيانج وحية وقصب .

عطر وأثر وظلال .

هواء وتراب ووحدّة .

( المعراج يصل إلى القمر )



## أغنية التلميذ

السبت .  
باب الحديقة .  
الأحد .  
يوم أغبر .  
أغبر .  
السبت .  
أقواس زرقاء .  
نسيم .  
الأحد .  
بحر ذو شطآن .  
غايات .  
السبت .  
بذرة .  
مرتجفة .

الأحد .

( حيننا يصطبغ  
باللون الأصفر )

## الغناء يريد أن يصبح نوراً

الغناء يريد أن يصبح نوراً .  
فى الظلام ، للغناء  
خيوط من الفوسفور والقمر .  
النور لا يعرف ماذا يريد .  
فى أطرافه المصوغة من معدن الأوبال .  
توجد هى نفسها  
ثم تعود .

## أرجوحة هوائية

( إلى خوسيه

في أيام الأعياد  
يمضون فوق عجالات .  
وأرجوحة الهواء تأتي بهم ،  
وبهم تذهب .  
قربان أزرق .  
عيد ميلاد أبيض .  
الأيام تنخلع عن جلودها  
كما لو كانت حيات ،  
باستثناء واحد  
هو أيام الأعياد .  
هي الأيام نفسها  
التي كانت لأمهاتنا العجائز .  
أمسياتها ذيول طويلة  
من نسيج الموهير المجعد والترتر .



قربان أزرق .  
عيد ميلاد أبيض .  
أرجوحة الهواء تدور  
وهي معلقة بنجمة .  
زهرة خزامى  
من أجزاء الأرض الخمسة .

على خيل  
متنكرة في صورة فهود .  
الأطفال يأكلون القمر  
كما لو كان ثمرة كرز .

ليستول عليك الحسد يا «ماركوبولو»!  
فعلى العجلات الخرافية ،  
يرى الأطفال أبعاداً هائلة  
مجهولة من الأرض .

قربان أزرق .  
عيد ميلاد أبيض .

## ميزان

الليل هادئ دائماً .  
والنهار يذهب ويجيء .  
الليل ميت ومرتفع .  
والنهار له جناح .  
الليل فوق المرايا  
والنهار تحت الريح .

## أغنية وحركة

أمس .

( نجوم

زرقاء )

غداً

( نجوم

بيضاء )

اليوم

( أحلم بزهرة غافية

فى وادى القميص التُّحْتَى )

أمس .

( نجوم

من النار )

غداً .

( نجوم

بنفسجية . )

اليوم .

هذا القلب ، يا إلهى !

هذا القلب الذى يثب !

أمس

( ذاكرة

نجوم . )

غداً .

( نجوم مغلقة . )

اليوم ...

( غداً ! )

أترانى سيعطينى الدوار

وأنا على القارب ؟

آه من جسور اليوم

فى طريق الماء !



مثل

مارس  
يمر طائراً .  
وينائر يتبعه شاهق الارتفاع .  
ينائر  
يتبعه فى ليل السماء .  
وتحتة مارس يبدو لحظة .  
ينائر  
لعينى العجوزين .  
مارس  
ليدى الطريتين .

# إفريز

( إلى جوستافو توران )

أرض

صبايا النسيم

يسرن بذولهن الطويلة .

سماء

صبيان الهواء

يقفزون على القمر .

## صِيَاد

صعوداً يا شجرة الصنوبر !  
أربع حمامات يطرن فى الهواء .  
أربع حمامات  
يطرن ويرجعن .  
وهن يحملن  
ظلالهن الأربعة جريحات .  
هبوطاً يا شجرة الصنوبر !  
أربع حمامات واقعات على الأرض .

# خرافة

خراتيت ومردة أحادية العيون

قرون من ذهب

وعيون خضر .

على الجرف الصخرى .

فى أفواج هائلة .

يبرزون زئبق البحر

بغير بلُّور .

خراتيت ومردة أحادية العيون .

حدقة واحدة

وقوة هائلة .

من الذى يشك فى القدرة

الرهيبية لتلك القرون ؟

خَبُّى بياضك

أيتها الطبيعة !



## أغسطس

أغسطس .

متعارضات من الخوخ والسكر .

والشمس في داخل الأصيل

مثل نواة فاكهة .

كوز الذرة يحتفظ

بضحكته الصفراء الصلبة غير ممسوسة .

أغسطس .

الأطفال يأكلون

خبزاً أسمر وقمراً شهياً .

## نسیج ملون

ثدی أحمر للشمس .

ثدی أزرق للقمر .

ظهر نصفه مرجان ،

ونصفه فضة وظلال .

## قطعوا ثلاث شجرات

( إلى إرنستو هالفتر )

كن ثلاثا .

( أتى النهار بفئوسه . )

كانتا اثنتين .

( أجنحة فضية منسحبة على الأرض . )

كانت واحدة .

ثم أصبحت لا شيء .

( وبقي الماء عاريا . )

## ليالي النافذة

( في ذكرى الشاعر خوسيه ثيريا إسكالانتى )

— ١ —

فى أعلى الأفق يسير القمر .

ومن أسفل تجرى الريح .

( ونظراتى البعيدة ،

تستكشف السماء )

قمر فوق الماء .

قمر تحت الريح .

( نظراتى القريبة ،

تستكشف الأرض . )

أصوات طفلتين تأتيان إلى .

وبلا جهد ،

من قمر الماء ،

ذهبتُ إلى قمر السماء .

— ٢ —

ذراع للَّيل  
يمرق إلى نافذتي .  
ذراع كبير أسمر  
بأساور من ماء .  
على بلّور أزرق  
كانت روحى تلاعب النهر .  
اللحظات الجريئة  
كانت تمر عبر الساعة .

— ٣ —

أطل برأسي  
من النافذة ، وأرى  
كيف تريد قطعه  
سكينة الريح .

فى هذه المقصلة  
الخفية ، وضعت  
رأساً بلا عيون



لكل رغباتى ،

ورائحة ليمون  
ملأت اللحظات الهائلة ،  
بينما كانت الريح  
تتحول إلى زهرة من غلالة .

— ٤ —

اليوم ، طفلة من ماء  
ماتت فى الغدير ،  
هى الآن خارج الغدير  
مكفنة على الأرض .

من رأسها إلى فخذها  
سمكة تنسرب عليها وهى تنادىها .  
الريح تقول لها : « يا صبية »  
ولكنها لا تستطيع إيقاظها .

الغدير ينشر غداثره  
من حشيش البحر  
ويعرض للهواء نهديه الأشهبين  
المرتجفين من الضفادع .

ليحفظك الله . سوف نصلى  
لسيدتنا عذراء الماء  
من أجل طفلة الغدير  
الميتة تحت التفاح .

وأنا سأضع إلى جوارها  
قرعتين صغيرتين  
حتى تظل طافية ،  
- آه - على البحر المالح .

( بيت الطلبة ، ١٩٢٣ )



# أغاني الأطفال

( إلى الطفلة الرائعة كولومبا مورلا بيكونيا النائمة

في خشوع ، في ٨ أغسطس ١٩٢٨ )





## أغنية صينية فى أوربا

(إلى ربييتى إيزابيل كلارا )

الآنسة

ذات المروحة ،

تسير على جسر

النهر البارد .

والسادة

فى ستراتهم الطويلة ،

ينظرون إلى الجسر

الذى ليس له سياج .

الآنسة

ذات المروحة

والكرانيش ،

تبحث عن زوج .

السادة

متزوجون ،

بنساء شقراوات طويلات ،

ذوات لغة بيضاء

صرار الليل يغنى

فى الغرب .

( الأنسة تسير

نحو الأخضر . )

صرار الليل يغنى

تحت الأزهار .

( السادة

يذهبون إلى الشمال . )

## أغنية إشبيلية

( إلى سوليتا ساليناس )

كان الفجر يشرق  
في شجر البرتقال .  
نحلات من ذهب  
كن يبحثن عن العسل .  
أين يكون  
العسل ؟  
هو في الزهرة الزرقاء  
يا إيزابيل .  
في تلك الزهرة  
من زهور إكليل الجبل .  
( سرج من الذهب  
للفارس العربي .  
وسرج من النحاس  
لامراته . )  
كان الفجر يشرق  
في شجر البرتقال .

## ودعة

( إلى ناتاليا خيمينث )

جاءوا إلى بودعة .  
في داخلها يغنى .  
بحر من بحور الخرائط .  
قلبي  
يمتلئ بالماء  
وفيه أسماك صغيرة .  
من الظلال والفضة .  
جاءوا إلى بودعة .

## العظاية تبكى

( إلى الأنسة تيريسيتيا جيئن  
وهى تعرف على بيانو يسبع نغمات )

العظاية الذكر يبكى .

العظاية الأنثى تبكى .

العظايتان

كل منهما يرتدى مريلة بيضاء .

لقد فقدتا بغير قصد

خاتم زواجهما .

آه ، ذلك الخاتم من رصاص !

آه ، خاتمهما الرصاصى !

سماء كبيرة خالية من البشر

ترفع الطير إلى كرتها .

الشمس قائد مدور

يرتدى صداراً من الساتان .

انظروا إليهما : كم هما عجوزان !

كم هما عجوزان هاتان العظايتان !

وما أكثر ما تبكيان وتبكيان !

آه ، آه ! كيف تبكيان !



## أنشودة للغناء

فى الرمادى  
الديك الخرافى  
كان فى لباس رمادى .  
والطفلة كيكيريكى  
كانت تفقد بياضها  
وشكلها هناك .

لكى أدخل فى الرمادى  
طلبت نفسى باللون الرمادى .

وما أبهى ما تألقت  
فى اللون الرمادى !

## منظر

( إلى ريتا وكونتشا وببسي وكارمن )

المساء الضالّ

لبس البرودة .

وراء زجاج النوافذ

العكر ، جميع الأطفال

يرون كيف تتحول

شجرة صفراء إلى طيور .

المساء يميل

على طول النهر .

وتورّدُ تُفَاحِيّ

يرتجف على سطوح المنازل .

## أغنية حمقاء

ماما .

أريد أن أكون من فضة .

بُنَى .

سوف تكون شديد البرودة .

ماما .

أريد أن أكون من ماء .

بُنَى .

سوف تكون شديد البرودة .

ماما .

طرزيتنى فى وسادتك .

نعم ، هذا هو ما سأفعل

والآن ، فى نفس هذه اللحظة .

# أندلسيات

( إلى ميغيل بيثارد )

( فى فوضى اليابان المتسقة )

## أغنية فارس

( ١٨٦٠ )

فى القمر الأسود

قمر قاطعى الطريق ،

تغنى المهاميز .

أيها الحصان الأسود

إلى أين تذهب بفارسك الميت ؟

المهاميز الصلبة

لقاطع الطريق الهامد

الذى فقد لجامه .

أيها الحصان البارد

أى عطر ينبعث من زهرة الخنجر !

فى القمر الأسود

كان الدم يسيل  
من سفوح « الجبل الأسود »

أيها الحصان الأسود  
إلى أين تذهب بفارسك الميت ؟  
الليل يستحث  
شواكله السوداء  
مغمداً فيها نجومه .

أيها الحصان البارد ،  
أى عطر ينبعث من زهرة الخنجر !

فى القمر الأسود  
صرخة ! ثم قرن من النار  
ينبعث من الحريق المشتعل .

أيها الحصان الأسود  
إلى أين تذهب بفارسك الميت ؟



## « أديلينا » تخرج للنزهة

لا يرتقال فى البحر ،  
ولا حب فى إشبيلية .  
يا سمراء ، أى نور من نار !  
أعيرينى مظلتك .

سوف يصبح وجهى أخضر  
- عصير ليمون حلو وليمون حامض -  
وكلماتك - سمكات صغيرة -  
تسبح من حولى  
لا يرتقال فى البحر .  
آه من الحب .  
ولا حب فى إشبيلية !

# عَلِيْقُ ذُو جَذَعِ رَمَادِي

أَيُّهَا الْعَلِيْقُ ذُو الْجَذَعِ الرَّمَادِي ،  
أَعْطِنِي عَنْقُوداً .

دَمٌ وَشَوْكٌ ، اقْتَرِبْ .  
إِنْ كُنْتَ تَحِبُّنِي فَسَوْفَ أَحْبَبْتُكَ .

أَلْقِ ثَمْرَتَكَ مِنَ الْخَضِرَةِ وَالظَّلَالِ  
عَلَى لِسَانِي : أَيُّهَا الْعَلِيْقُ .

أَيُّ رَغْبَةٍ فِي أَنْ أَعَانِقَكَ بِشِدَّةٍ  
فِي ظِلَالِ أَشْوَاقِي .

أَيُّهَا الْعَلِيْقُ ، إِلَى أَيْنَ أَنْتَ ذَاهِبٌ ؟  
لَعَلَّكَ تَبْحَثُ عَنِ الْحُبِّ الَّذِي لَا تَمْنَحُنِي إِيَّاهُ .

## طفلتى ذهبت إلى البحر

طفلتى ذهبت إلى البحر  
لكى تعد الأمواج والحصى .  
ولكنها فجأة  
إذا بها تلتقى بنهر إشبيلية .

بين أزهار الدفلى والأجراس  
كانت تتهاذى خمسة مراكب ،  
مجاذيفها فى الماء  
وأشرعتها فى النسيم .

من الذى ينظر إلى داخل برج إشبيلية  
الذى لبس أبهى حله ؟  
كانت هناك خمسة أصوات تجيب  
مدوّرة كأنها خواتم .

السماء تصعد شامخة  
إلى النهر من شاطئ إلى شاطئ  
وفى الهواء المورّد ،  
كانت تقهّادى خمسة خواتم .

## مساء

( هل كانت حبيبتي أوسياً  
تغمس قدميها في مياه الجدول ؟ )

ثلاثة من شجر الحور الشاهق  
ونجمة .

الصمت الذي تعضه الضفادع ،  
يشبه غلالة ،  
قد رسمت عليها  
نقط صغيرة خضراء .

في النهر  
شجرة يابسة ،  
قد طلعت فيها أزهار  
في دوائر متراكزة .

وعلى المياه حلمت  
بسمراء غرناطة .



# أغنية الفارس

قرطبة .

بعيدة وحيدة .

فرس أسود ، قمر كبير ،

وزيتونات فى خرجى .

مع أنى أعرف الطرق

فإننى لن أصل إلى قرطبة .

فى السهل ، وفى الريح ،

فرس أسود ، قمر أحمر .

الموت يلاحظنى

مُطلًا من أبراج قرطبة .

آه يا لطول الطريق !

آه يا لفرسى الشجاع !

آه من الموت المتربص بى ،  
قبل أن أصل إلى قرطبة !

قرطبة .

بعيدة وحيدة .

## هي الحقيقة

آه مما يجشمنى من آلام  
حبي لك بقدر ما أستطيع من حب !

من جراء حبك  
يؤلمنى الهواء  
والقلب  
والقبة .

من الذى يشتري منى  
هذا الشريط الذى أحتفظ به  
وذلك الحزن من الكتان الأبيض  
حتى يصنع منه مناديل ؟

آه مما يجشمنى من آلام  
حبي لك بقدر ما أستطيع من حب !

# شجرة شجرة

شجرة شجرة

يابسة وخضراء .

الصبية ذات الوجه الجميل

نقطف الزيتون .

الريح ، عاشق الأبراج ،

يشدها من خصرها .

مر أربعة فرسان ،

على أفراس أندلسية ،

فى ثياب زرق وخضر ،

وعباءات طويلة داكنة .

« تعالى إلى غرناطه يا فتاة . »

ولكن الصبية لا تصغى إليهم .

مر ثلاثة فتيان من مصارعى الثيران ،

ذوى الخصور النحيلة .  
السترات بلون البرتقال .  
والسيوف من فضة قديمة .  
« تعالى إلى إشبيلية يا فتاة . »  
ولكن الصبية لا تصغى إليهم .  
وحينما تلون المساء بلون البنفسج ،  
وبنور شاحب مبهم .  
مرفتى كان يحمل  
وردًا وريحانًا من القمر .  
« تعالى إلى غرناطة يا فتاة . »  
ولكن الصبية لا تصغى إليه .  
الصبية ذات الوجه الجميل  
تواصل قطفها للزيتون ،  
وذراع الريح الشهباء  
تشدها من خصرها .

شجرة شجرة  
يابسة وخضراء.

## عاشق

عاشق ،

عاشق صغير ،

فى بيتك يحرقون الزعتر .

لا تكثر من الذهاب والمجئ ،

فأنا أقفل بابى بمفتاح .

بمفتاح من فضة خالصة ،

مربوط إلى شريط .

وعلى الشريط مكتوب :

« قلبى بعيد » .

لا تكثر من التجوال فى شارعى .

اتركه كله للهواء !



عاشق ،

عاشق صغير .

فى بيتك يحرقون الزعتر .

## ثلاث صور مظلة

قولين

الأغنية ،

التي لن أقولها ،

نامت على شفتي .

الأغنية ،

التي لن أقولها .

على زهرات سلطان الجبل

كان الحُبابِ يحوم ،

والقمر ينقر الماء

بشعاع من ضوئه .

وحينئذٍ حلمت ،

بالأغنية ،

التي لن أقولها .

أغنية مليئة بالشفاه  
وبمجارى مياه بعيدة .

أمنية مليئة بالساعات  
التائهة فى الظلال .

أغنية لنجمة حية  
على يوم دائم .

# باخوس

حفيف أخضر غير ممسوس .  
شجرة التين تمد لى ذراعيها .

وظلها ، كما لو كان نمرأ ،  
يتربص بظنى الغنائى .

القمر يَعدُّ الكلاب .  
ولكنه يخطئ فيبدأ العدُّ من جديد .

فى صباح أمس بين السواد والخضرة ،  
كنت تطرفين حول سياجى من ورق الغار .

من الذى يمكن أن يحبك كما أحبك أنا ،  
لو أنك استبدلت بقلبى آخر ؟

... وشجرة التين تصرخ بى وتتقدم  
رهيبة متكاثرة .

## خوان رامون خيمينث

فى البياض اللانهائى :  
من الجليد والفل والملاحات ،  
تاه خياله .

اللون الأبيض ، يسير ،  
على بساط صامت  
من ريش الحمام .

بلا عيون ولا لفتات  
يعانى حلما ، وهو بلا حراك ،  
ولكنه يرتجف من داخل .

فى البياض اللانهائى ،  
أى جرح كبير وصافٍ  
ترك خياله !

فى البياض اللانهائى  
من الجليد والفل والملاحات .

## قَيْنوس هكذا رأيته

الفتاة الميثة  
في صدمة الفراش ،  
وهي عارية من الزهر والنسيم  
كانت تبدو في الضوء الخالد .

وظل العالم ،  
زنبقة من القطن والظلال .  
مطلأ على الزجاج ،  
وهو يرى الحركة اللانهائية .

الفتاة الميثة ،  
كانت تشق الحُب من داخل .  
وبين زبد الملاءات  
كان شعرها يتيه .



## ديبوسى

ظلى يمضى فى صمت  
خلال ماء الجدول

فى ظلى ضفادع  
قد حرمت من النجوم .

الظل يبعث إلى جسد  
انعكاسات لأشياء هائلة .

ظلى يسير كأنه سحابة هائلة  
من البعوض ذى اللون البنفسجى .

نور ينبع من صدرى ،  
منعكساً على ماء الجدول .

## نرجس

يا ولد .

أنت موشك على السقوط فى النهر !

هناك فى الأعماق وردة

وفى الوردة نهر آخر .

انظر إلى ذلك الطائر !

انظر إلى ذلك الطائر الأصفر !

لقد سقطت عيناي

داخل الماء .

يا إلهى !

إنه ينزلق ! يا ولد !

... وفى الوردة أنا نفسى .

حينما ضاع أثره فى الماء

فهمت . غير أنى لا أعرف كيف حدث .

# لُعْب

مهداة لرأس لويس بونويل

فى « السهل الكبير »

## شاطئيات

( بمصاحبة دقات الأجراس )

يقولون إن لك وجهاً

( بالالين )

مثل قمر التمام

( بالالان )

ما أكثر الأجراس ! أسمعيتها ؟

( بالالين )

هى لا تتركنى .

( بالالان )

ولكن عينيك ... آه !

( بالالين )

... معذرة ، أقصد هالات عينيك

( بالالان )

وتلك الوردة الذهبية

( بالالان )

وتلك ... لا أستطيع ، تلك ...

( بالالان )

نُقبتُها الداخلية اليابسة

فيها أجراس متلاطمة .  
آه من سحرك الخفى ... آه !  
( بالالين )  
لين )  
لين  
لين ... )  
معذرة .

## إلى إيرين غرثيا (خادمة)

في الغُيضة ،  
أشجار الحور  
يتراقص بعضها مع بعض .  
والشجرة الصغيرة ،  
بورقاتها الأربع ،  
ترقص أيضا .

إيرين !  
من بعد ، سوف تأتي الأمطار  
والثلوج .  
فارقصى على الخضرة .

على الخضرة الخضراء  
وسوف أرافقك أنا .

آه ، كيف يجرى الماء !  
آه من قلبي

في الغيضة ،

أشجار الحور يتراقص  
بعضها مع بعض .  
والشجرة الصغيرة  
بورقاتها الأربع ،  
ترقص أيضا .



## همساً في أذن صبية

لم أرد .  
لم أرد أن أقول لك شيئاً .

رأيت في عينيك .  
شجرتين مجنونتين  
من النسيم والضحك والذهب .

كانتا تتأودان .  
لم أرد .  
لم أرد أن أقول لك شيئاً .

## كان الناس يذهبون

كان الناس يذهبون  
والخريف آتٍ .

الناس  
يذهبون إلى الخضرة .  
كانوا يحملون ديكه  
وقيثارات مرحة .

في مملكة البذور  
كان النهر يحلم  
والنبع يجري مأؤه .  
اقفز ،  
أيها القلب الملهب !

كان الناس  
يذهبون إلى الخضرة .

الخريف يأتي

مصفر النجوم .  
طيور هزيلة  
وأمواج متراكزة  
على الصُّدار المنشئ  
الرأس .  
توقف ،  
أيها القلب المصنوع من شمع !  
  
كان الناس يذهبون  
والخريف آتٍ .

## أغنية المَخْنَث

المخنث يمشط شعره  
أمام منضدة زينته الحريرية .

الجيران يبتسمون  
فى النوافذ الخلفية .

المخنث ينسّق  
خصلات شعره .

فى الفناء تتصايح البيغاوات  
نوافير كواكب سيارة .

المخنث يتزين  
ببلاسمينة فاجرة .

الأصيل يتخذ شكلاً غريباً  
من الأمشاط واللبلاب .

وترتجُ الفضيحة  
مخططة كحمار وحشى .

مختثو الجنوب  
يغنون على أسطح المنازل .

## شجرة الغناء

( إلى أنا ماريا دالى )

قصبة صوت والتفاتة ،

مرة من بعد مرة

ترتجف بلا أمل

فى هواء الأمس .

الصبية تتنهد

بينما كانت تريد الإمساك به .

ولكنها كانت تصل دائما

بعد ذهابه بدقيقة .

آه للشمس ! آه للقمر .. القمر !

بعد ذهابه بدقيقة

ستون زهرة رمادية

كانت تلتف حول قدميها .

انظر إليه كيف يتأود



مرة بعد مرة ،  
عذراء من زهرة وغصن .  
في هواء الأمس .

## برتقال وليمون

آه للصيبة  
من الحب الخبيث !

ليمون وبرتقال .

آه للصيبة  
للصيبة البيضاء !  
ليمون .

( ما أشد لعانه  
فى ضوء الشمس ! )  
برتقال .

( فى حصى  
الماء . )

# شارع البُكْم

وراء الواجهات الزجاجية الجامدة  
كانت الصبايا يتلاعبن بضحكاتهن .

( فى معازف البيانو الخالية  
عناكب بهلوانات . )

الصبايا يتحدثن عن خُطَّابهن  
وهن يهززن صفائهن المحكمة القتل .

( عالم المروحة  
المنديل واليد . )

الفتيان يردون ناشرين  
فى عبااتهم السود أجنحة وأزهاراً .

# أغاني القمر

( إلى خوسيه ف . مونتيسينوس )

## القمر يطل

حينما يطلع القمر  
تختفى الأجراس  
وتظهر الطرق  
التي لا سبيل لا ختراقها .

حينما يطلع القمر ،  
يغطي البحر الأرض  
ويشعر القلب  
بأنه جزيرة في اللانهاية .

لا أحد يأكل برتقالاً  
تحت ضوء قمر التمام .

من الضروري  
أكل فاكهة خضراء مثلجة .

حينما يطلع القمر  
بمائه وجه متساوية ،  
تزفر النقود الفضية  
في الجيوب .

## قمران فى المساء

- ١ -

[ إلى لاورينا صديقة أختى ]

القمر ميت ، ميت ؟

ولكنه يبعث من جديد فى الربيع

حينما تتجدد ريح الجنوب

على جباه شجر الحور .

حينما تؤتى قلوبنا .

حصادها من الزفرات .

حينما تضع أسطح المنازل .

على رءوسها قبعات من الحشيش .

القمر ميت ، ميت .

ولكنه يبعث من جديد فى الربيع .



[ إلى إيزابيليتا أختي ]

الأصيل يغنى  
معزوفة للبرتقال .

أختي تغنى :  
الأرض برتقالة .

القمر يقول باكياً :  
أنا أريد أن أكون برتقالة .

هذا مستحيل يا بُنَيَّتِي .  
حتى لو احمرَّ خَدَاكَ .

ولا حتَّى أن تكون ليمونة صغيرة .  
وأسفاه ! .

الاثنين ، الأربعاء ، الجمعة

أنا كنت

أنا كنت ،

ولكنى لا أكون .

أنا كنت ....

( ياله من فكٌ عجيب

فكُّ السُّرو وظله !

زاوية من قمر التمام .

زاوية من قمر وحيد . )

أنا كنت ..

كان القمر يمزح

وهو يقول إنه كان وردة .

(بعباءة من الريح

قذف حبي بنفسه إلى الأمواج . )

ولكنى لا أكون ..

(أمام واجهة زجاجية مكسورة  
أخيط ثيابى الغنائية . )

## مات فى الفجر

ليلة ذات أقمار أربعة .  
وشجرة واحدة ،  
وظل واحد ،  
وطائر واحد .

أبحث فى داخل جسدى  
عن آثار شفّتك  
النبع يُقبّل الريح .  
بغير أن يلمسها .

أحمل كلمة « لا » التى قلتها لى .  
على راحة يدي  
كأنها ليمونة من شمع  
شبه بيضاء .

ليلة ذات أقمار أربعة .

وشجرة واحدة .  
فى سن إبرة  
يوجد حُبِّى مواصلاً للدوران !

## الذكرى السنوية الأولى

الصبيبة تمر على جبينى  
آه ! أى إحساس قديم !

أتساءل : بم يفيدنى  
المداد والورق والشُّعر؟

لحمك يبدو لى  
زنبقة حمراء قصبة خيزران ناضرة .

سمراء قمر التمام  
ماذا تريدن من رغباتى ؟



## الذكرى السنوية الثانية

القمر يغرس فى البحر  
قرناً طويلاً من النور .

خرتيت رمادى وأخضر،  
يرتجف ولكن فى نشوة .  
السماء تطفو على الهواء  
كزهرة لوتس هائلة .

(آه ، أنت وحدك تتنزهين  
فى الهزيع الأخير من الليل !)

## زهرة

[ إلى كولين هاكفورت ]

شجرة الصفصاف العظيمة .  
كانت تتساقط تحت المطر .

آه من القمر المستدير  
على الأغصان البيضاء ! .

## إله الحب وعصاه (١٩٢٥)

[ إلى يمين يئو ]

### فزع فى قاعة الطعام

كنت وردة

ثم تحول لونك إلى الاصفرار

أى مقصد رأيت فى يدي

التي بدت كما لو كانت تتهددك ؟

رغبت فى التفاح الأخضر .

ولم أرد التفاح الوردى ...

تحولت إلى الاصفرار ..

( طائر كُرْكُى نائم فى المساء

وضع على الأرض رجله الأخرى . ) .

## لوثيا مرتينث

لوثيا مرتينث

سمراء فى حرير أحمر .

فخذاك مثل لون الأصيل

يتحركان من النور إلى الظل

والخرزتان السوداءوان الخفيتان

تظللان من صدرك زهرتى المغنوليا .

ها أنذا ، يا لوثيا مرتينث

قادم لأعتصر ثغرك

ولأجرُّك من شعرك ..

فى فجر الأصداف .

لأنى راغب ، ولأننى قادر .

يا سمراء الحرير الأحمر .

## أَيُّمٌ فِي قَدَاسِ الصَّلَاةِ

تحت المهد المعطر بالبخور ،  
تبددين غافية .

كانت عينا ثور تنظران إليك .  
وكانت مسبحتك تتساقط مطراً .

في ثوبك الحريري العميق السواد .  
لا تتحركى ، يا « فرخينيا »

امنحى شمامتى صدرك السوداءوين  
لتراتيل القداس .

## فى الداخل

لست أريد أن أكون شاعراً  
ولا مغازلاً للنساء  
ملءات بيضاء حيث يغمى عليك !

أنت لا تعرفين النوم  
ولا إشراقة النهار .  
مثل الأخطبوط الأعمى .  
عارياً فى مداد عطره .  
« كارمن » .



نو

تحت زهرة الدُّفلى ، بلا قمر  
كنت قبيحة وأنت عارية .

كان لحمك يبحث فى خريطة جسدى  
عن الصفرة الإسبانية .

كم كنت قبيحة أيتها الفرنسية .  
فى مرارة الدفلى !  
كنت حمراء وخضراء ، وألقيت  
على جسدك عباءة قدرتى ،

خضراء وحمراء ، حمراء وخضراء .  
هنا نحن قوم آخرون !

## معزوفة ليلية

[ تكريماً لذكرى لوي دي فيجا ]

على ضفاف النهر  
الليل يصيبه البلل .  
وفي نهدي « لوليتا »  
تموت الزهور حباً

تموت الزهور حباً .

الليل يغنى عارياً  
على جسور مارس .  
« لوليتا » تغسل جسدها  
بماء مالح وزهرات زنبق .

تموت الزهور حباً .

الليل العَطرُ الفضى .  
يلتَمع على أسطح البيوت  
فضة الجداول والمرايا  
عطر من أفخاذك البيض .  
  
تموت الزهور حباً .

## فى « مالقة »

فخمة هى « ليوناردا »  
بجسدها المقدس وثوبها الأبيض .  
على سياج « فيلاً ليوناردو »  
معرضة لقاطرات الترام والمراكب .  
ظهور السابحين السوداء .  
تلون بالسواد شاطئ البحر .  
وأردافك ترتج  
كأنها صدفه وزهرة لوتس معاً .  
كما لو كنت « سيريز » إلهة الخصوبة .  
مصنوعة من رخام .

# وراء العالم

[ إلى مانويل أنخيلس أورتيج ]

## مشهد

أبراج عالية

أنهار طويلة

جَنِيَّة

خذ خاتم الزواج  
الذى كان فى أيدى أجدادك  
مائة يد تحت التراب  
تفتقده الآن .



أنا

سوف أشعر في يدي  
بزهرة هائلة من الأصابع  
ورمز الخاتم .  
لا . لا أريده .

أبراج عالية .  
أنهار طويلة .

## قلق وليل

طائر الوروار  
فى أشجارك المعتمة

ليلة فى سماء متلعثمة  
وهواء متجلج .  
ثلاثة سكارى يديمون لفتاتهم  
من الخمر والحداد .  
الكواكب الرصاصية تدور  
حول قدم واحدة

طائر الوروار .  
فى أشجارك المعتمة .

ألم صدغ مضغوط .

بأكاليل زهور من الدقائق

وصمتك ؟

السكاري الثلاثة يغنون وهم عرايا .

تطريز على حرير خالص

هو غناؤك .

يا طائر الوروار

وار ، وار ، وار ، وار ، وار

وروار .

## الطفل الأبكى

الطفل يبحث عن صوته .  
( وكان قد أخذه ملك صرارات الليل ) .  
فى قطرة من ماء .  
كان الطفل يبحث عن صوته .

لست أريده من أجل الكلام ،  
وإنما لأصنع منه خاتماً  
يحمّله صمّتى  
فى إصبعه الصغير .

فى قطرة ماء  
كان الطفل يبحث عن صوته .

(كان الصوت الأسير يبدو من بعيد) .  
وقد لبس حُلّة صرّار الليل .

## الطفل المجنون

كنت أقول « مساء »  
ولم يكن الأمر كذلك .  
فقد كان المساء شيئاً آخر .  
وكان قد ذهب

(وكان النور  
يرفع كتفيه كأنه طفلة ) .

« مساء » ولكن لا فائدة !  
هذا المساء زائف .  
فقد أتى بهلال من رصاص .  
أما المساء الآخر فلن يأتي أبداً .

(والنور كما يراه الجميع  
كان يلاعب التمثال مع الطفل المجنون ) .

كان ذلك المساء صغيراً

وكان يأكل رماناً.  
أما هذا فهو كبير وأخضر .  
لا أستطيع أن آخذه بين ذراعيّ ولا أن ألبسه  
ألن يأتي ؟ كيف كان ؟  
(والنور الذاهب ألقى بدعابة .  
فقد فصل بين الطفل المجنون وظله ) .

## زواج

اقذفوا بهذا الخاتم  
إلى الماء .

(الطفل يتكئ بأصابعه  
على ظهري) .

اقذفوا بهذا الخاتم  
عمرى أكثر من مائة عام ، اصمتوا !

لا تسألوني عن شيء !

اقذفوا بهذا الخاتم  
إلى الماء .



## وداع

إذا حلَّ بى الموت  
فاتركوا الشرفة مفتوحة !

الطفل يأكل برتقالاً  
( من شرفتى أراه )

الحاصد يحشُّ القمح  
( من شرفتى أراه ) .

إذا حلَّ بى الموت  
فاتركوا الشرفة مفتوحة !

## انتحار

(ربما كان ذلك لجهلك بالهندسة )

كان الفتى صغيراً ناسياً .  
كانت الساعة هي العاشرة صباحاً .

شرع قلبه في الامتلاء .  
بأجنحة مكسرة وأزهار من قماش .

لاحظ أنه لم يبق في فمه .  
إلا كلمة واحدة .

وحينما خلع قفازيه .  
كان يتساقط من يديه رماد رقيق .

من الشرفة كان يُرى برج .  
وأحس بأنه شرفة وبرج .

رأى بغير شك كيف كانت  
الساعة الكبيرة الحبيسة في صندوقها .

رأى ظله ممتداً جامداً .  
على بياض الأريكة الحريرية .

ومضى الفتى صارماً كأنه شكل هندسى ،  
وبيده فأس حطم بها المرآة .

ومع تحطمها اندفق سيل من الظلال .  
فأغرق المخدع الوهمى .

## حب

(بأجنحة وسهام)

أغنية صغيرة

(للرغبة الأولى)

في الصباح الأخضر ،  
كان يود أن يتحول إلى قلب ،  
قلب .

وفي المساء الناضج  
كان يود أن يتحول إلى بلبل .  
بلبل .

(ياروح ،  
اتخذى لون البرتقال ،  
ياروح ،  
أخذى لون الحب ) .

في الصباح الحى .  
كنت أود أن أصير أنا .  
قلب .

وفي المساء الغارب

أردت أن أصير صوتي .  
بلبل .

يا روح !  
اتخذي لون البرتقال !  
يا روح !  
اتخذي لون الحب !

## فى المعهد ( وفى الجامعة )

فى المرة الأولى  
لم أعرفك .  
وفى الثانية عرفتك .

خبرينى  
إن كان الهواء يقول لك ذلك .

كان صباحاً بارداً .  
وكان الحزن قد غلبنى .  
ثم داخلتنى رغبة  
فى الضحك  
لا ، لم أعرفك .  
نعم ، أنت عرفتني  
نعم . أنا عرفتك .  
لا ، لم تعرفينى  
والآن يمتد شهر بيننا ،  
مستطيلاً جامد الشعور ،

شهر كأنه ستار ،  
من الأيام الرمادية .

فى المرة الأولى  
لم أعرفك .  
وفى الثانية عرفتك .



## غزلية قصيرة

أربع شجرات رمان .  
فى بستانك .

(خذى قلبى  
الجديد) .

أربع شجرات من سرّو المقابر  
ستكون فى بستانك .

(خذى قلبى  
العجوز) .

شمس وقمر .  
وبعد ...  
لا قلب  
ولا بستان !

صدى

هاقد تفتحت  
زهرة الفجر .

(أتذكرين  
مشهد الأصيل ؟ )

كان قُلُّ القمر  
يسكب شذاه البارد

(أتذكرين  
نظرة أغسطس ؟ )

## مناجاة عاشق

[ إلى إنريكي بوران ]

كنت تريد أن أكشف لك  
عن سر الربيع .

وأنا إذا اتصل الأمر بالأسرار  
شجرة صنوبر .

شجرة لها ألف إصبع  
تشير إلى ألف طريق .

لن أقول لك أبداً يا حبيبتي .  
لماذا يجرى النهر بطيئاً .

ولكني سأضع في صوتي الراكد  
سواء نظرتك الرمادية .

أديريني مرة بعد أخرى حولك ،  
كـمالو كـنا نلعب ساقية الحب .

آه ! ولكني لن أستطيع ، وإن أردت ،  
الكشف لك عن سر الربيع .

## نرجس

نرجس .  
رائحتك .  
وقاع النهر .

أريد أن أظل إلى جوارك .  
يا زهرة الحب .  
يا نرجس .

في عيونك البيض .  
تعبير عن أمواج وأسماك نائمة .  
طيور وفراشات .  
ممتزجة بما لدى منها .

أنت صغير وأنت كبير .  
يا زهرة الحب .  
يا نرجس .

الصفادع ، ما أذكاهما !

ولكنها لا تدع في هدوء .  
المرأة التي تنتظر فيها  
إلي هذيانك وهذيانى .

نرجس .  
ألمى .  
ألمى نفسه .

## غرناطة و ١٨٥٠

من غرفتي  
أنصت إلى النافورة .

إصبع يخرج من شجرة الكرم  
وشعاع من الشمس .  
يشيران إلى  
موضع قلبي .

في هواء أغسطس .  
تسير السحب . وأنا ،  
أحلم بأنى لا أحلم ،  
في داخل النافورة ،

## استهلال موسيقى

خمائل شجر الحور تذهب ،  
ولكنها تترك انعكاساتها .

خمائل شجر الحور تذهب ،  
ولكنها تترك لنا الريح ،

الريح مُكَفَّنَةٌ  
وهي ممتدة تحت السماء .

ولكنها تركت أصداءها  
طافية على الأنهار .

عالم فراشات الحباحب  
غزا ذكرياتي .

وهناك قلب صغير  
ينبتق من أصابعي .



## استهلال موسيقى

على السماء الخضراء .  
نجمة صباح خضراء .  
ماذا عساها أن تفعل يا حبيبتي  
- آه ! - إلا أن تضيع ؟

الأبراج الممتزجة  
بالضباب البارد ،  
كيف عليها أن تنظر إلينا .  
عبر كواها الصغيرة ؟

مائة من نجوم الصباح الخضر  
على سماء خضراء .  
لا ترى مائة برج أبيض ،  
فى الجليد .

وهذا القلق الذى يمتلكنى ،  
على أن أزيّفه ،

حتى يظلَ حياً ،  
بابتساماتِ حمر .

## سونيتو

شبح طويل من الفضة الجياشة العاطفة .  
رياح الليل ، وهى تطلق الزفرات ،  
فتحت بيدها الرمادية جرحى القديم ،  
ثم ابتعدت ، وتركتنى وملئى رغبة ،

قرح من الحب سوف يهبنى الحياة ،  
ينبتق من دم مستديم ونور صاف ،  
شق سوف يكون فيه لـ « سفيلومينا » الصامته .  
غابة وألم وعش لين .

آه ، ما ألد الطنين فى رأسى !  
سوف أتمدد إلى جوار الزهرة البسيطة  
حيث يطفو جمالك من غير روح .

والماء الضال سيتخذ لون الصفرة  
على حين يجرى دمي فى الأعشاب .  
المبتلة وذات الشذى الطيب على ضفة النهر .

## أغنيات للنهاية

[ إلى رافاييل ألبرتى ]

### بطريقة أخرى

الحريق يضع فى المساء على الحقل  
قرون أيل استبدبه الهياج .  
الوادي كله يمتد . وعلى روابيه ،  
تتخذ الريح حركة حلزونية .

الهواء يتبلور تحت الدخان .  
- كعين قط حزينة صفراء -  
وأنا بعينى أتنزه بين الأغصان .  
والأغصان تتنزه فى النهر .

وتصل حاجاتى الجوهريّة .  
هى أقفال لأقفال أغنيات .  
بين أعواد الخيزران والأصيل الغارب ،  
ما أغرب أن يكون اسمى « فيديريكو » !

## أغنية نوفمبر وأبريل

السماء الغائمة  
تجعلني أشخص بعيني المبيضتين ،  
وأنا لكى أعيد إليهما الحياة ،  
أقرب منهما زهرة  
صفراء .

ولكنى لا أستطيع إعادتهما كما كانتا ،  
فتظلان بيضاوين ومتخشبتين .

(بين كتفى تطير  
روحى المذهبة بأجمعها .)

سماء أبريل  
تصبغ عيني بالسواد .

وأنا لكى أعيد إليهما الروح .  
أقرب منهما زهرة بيضاء .

ولكنى لا أستطيع  
إيلاج البياض فى السواد .  
(بين كَتَفَيَّ تطير  
روحى الجامدة العمياء) .

أيها الماء ، إلى أين تمضي ؟

أيها الماء ، إلى أين تمضي ؟

أذهب عبر النهر ضاحكاً .  
إلى شطآن البحر .

أيها البحر إلى أين تمضي ؟

أمضي مُصعّداً في النهر باحثاً .

عن عين أستريح عندها .

أنت يا شجر الحور ، ماذا تصنع ؟

أريد أن أقول لك شيئاً .

نا ..... الارتعاش !



ماذا أريد وماذا لا أريد .  
من النهر ومن البحر ؟

( أربعة طيور على غير هدى  
تقف على شجرة السرو الشاهقة . )

## المرآة الخادعة

غصن أخضر مجرد  
من الإيقاع والطير .

صدى زفرة  
بلا ألم ولا شفة .  
رجل وغابة .

أبكي  
أمام البحر المر .  
في مقلتي  
بحران يغنيان

## أغنية بلا جدوى

وردة مستقبلة ، وعرق محتقن ،  
ياقوتة الأمس ونسيم هذه اللحظة .  
أود نسيانها !

رجل وسماك في محيطها ، تحت أشياء طافية .  
ينتظران ليلهما في السرج ، أوفى الأعشاب البحرية  
أود نسيانها !

أنا  
وحدى أنا !  
أصنع صينية .  
لن يوضع فيها رأسى .  
وحدى أنا !

## بستان مارس

شجرة تفاحي  
أصبح لها ظل وفيها طيور .

أى وثبة يثبها حلمي  
من القمر إلى الريح !

شجرة تفاحي .  
تعطى ذراعيها للخضرة .

من مارس كم أتمنى  
رؤية جبين يناير الفضى .

شجرة تفاحي .  
(ريح واطئة) .

شجرة تفاحي  
(سماء عالية) .

## بحاران على الشاطئ

[ إلى خواكين أميجو ]

— ١ —

أتى فى قلبه .  
بسمكة من بحر الصين .

وهو يراها تمر أحياناً  
بالغة الصغر أمام عينيه .

ومع كونه بحاراً فهو ينسى .  
البارات والبرتقال .

وهو ينظر إلى الماء .

— ٢ —

كان على لسانه ما يشبه رغوة الصابون .  
غسل كلماته وأخلد إلى الصمت .

عالم منبسط ، وبحر مُجَعَّد .  
ومائة نجمة ، وسفينته .

رأى شرفات البابا .  
ونهود الكوبيات المذهبة .

وهو ينظر إلى الماء .

## قلق تمثال

حفيف

ولو لم يبق إلا الحفيف .

عطر .

ولو لم يبق إلا العطر .

ولكنه ينتزع من داخلى الذكرى  
ولون الساعات الماضية .

ألم .

فى وجه الألم السحرى الحى .

معركة

فى المعركة الحقيقية القدرة .

ولكن أبعدوا هؤلاء الناس الخفيين .  
الذين يحاصرون بيتى بلا انقطاع !



## أغنية شجرة البرتقال اليابسة

[ إلى كارمن مورالس ]

أيها الحطاب .  
أقطع لي هذا الظل .  
أنقذني من عذاب  
رؤيتي بغير ترنجان .

لماذا وُلدت بين المرايا ؟  
النهار يدور بي  
والليل ينسخني .  
في كل النجوم .

أريد أن أعيش دون أن أراني .  
نملٌ وزغب شوكة  
سوف أحلم بأتهما  
ورقاتي وطيوري .

أيها الحطاب  
أقطع لي هذا الظل .  
أنقذني من عذاب  
رؤيتي بغير ترنجان !

## أغنية اليوم الذى يمضى

أى مشقة أتجشمها  
إذ أتركك تمضى عنى أيها اليوم !  
أنت تذهب مليئاً منى  
وتعود بغير أن تعرفنى .  
أى مشقة أتجشمها  
إذ أترك على صدرك  
حقائق ممكنة  
لدقائق مستحيلة !

فى المساء كان « برسيوس »  
يبرد سلاسل قيودك .  
وأنت تهرب على الجبال  
معرضاً قدميك للجراح .  
لا يفلح فى إغرائك  
جسدى ولا بكائى  
ولا الأنهار حيث تنام  
قيلولتك الذهبية .

من الشرق إلى الغرب  
أحمل نورك المستدير .  
نورك العظيم الذي يسند  
روحي في توترها الحاد .  
من الشرق إلى الغرب ،  
أى مشقة أتجشمها  
إذ أحملك بطيورك  
وبذراعيك الرُّيحَيْن ! .



- ٣ -

# قصيدة الغناء العميق

( الأندلسي )

( ١٩٢١ )



## أغنية الأنهار الثلاثة

[ إلى سلفاتور كنتيرو ]

نهر « الوادى الكبير »  
يجرى بين أشجار البرتقال والزيتون .  
ونهرًا غرناطة  
ينزلان من قمم الجليد إلى حقول القمح .

آه من الحب  
الذى ذهب ولم يعد !

نهر الوادى الكبير .  
ذو لحية حمراء داكنة .  
ونهرًا غرناطة  
واحد من دموع والآخر من دم .

آه من الحب .  
الذى طارت به الريح !

للقوارب ذات الشراع



طريق في نهر إشبيلية ،  
وفي ماء غرناطة  
لا مجاذيف إلا الزفرات .

آه من الحب  
الذي ذهب ولم يعد !

« الوادي الكبير : برج شامخ منيف  
ورياح تتخلل أشجار البرتقال .  
ونهر « حدره » و « شنيل » : بُرُجَات صغيرة  
تموت على ضفاف البرك

آه من الحب  
الذي طارت به الريح !

من الذي يتصور أن الماء  
يحمل لهيباً طائراً من الصرخات !

آه من الحب  
الذي ذهب ولم يعد !

يحمل أزهار برتقال ويحمل زيتوناً  
يا أندلس إلى بحارك .

آه من الحب  
الذي طارت به الريح !

# قصيدة السيجيريا الغجرية

[ إلى كارلوس مورلا بيكونيا ]

## مشهد

حقل  
الزيتون  
ينبسط وينقبض  
كأنه مروحة .  
على خميلة الزيتون  
سماء غارقة  
ومطر قاتم .  
من شهب باردة .  
سيقان القصب والظلال  
ترتعد على ضفة النهر  
يتجعدُّ الهواء الأشهب  
شجر الزيتون  
قد أثقلته ثمار  
من الصرخات  
وهناك أسراب  
من الطيور السجينة  
تحرك ذيولها الهائلة الطول .  
في الفضاء المظلم .

## القيثارة

### القيثارة

تشرع فى العويل .  
وتأخذ فى الانكسار  
كنؤوس الفجر .

القيثارة تشرع فى العويل ،  
من العبث إسكاتها .  
من المستحيل  
إسكاتها .

هى تبكى رتيبة  
كما يبكى خريز الماء ،  
كما تبكى الريح  
على صفحة الجليد .  
من المستحيل  
إسكاتها .

هى تبكى لأشياء  
قد بَعُدَ بها العهد .  
رمال الجنوب الحارة

تطلب أزهار الكاميليا البيضاء .  
هي تبكي : سهاماً تنطلق بلا أهداف ،  
أصيلاً ليس له صباح ،  
وأول طائر صريع  
على الغصن .  
آه يا قيثاره !  
أنت قلب جريح المقاتل  
أصابته خمسة سيوف .

## الصرخة

هناك قوس صرخة  
ينداح من جبل  
إلى جبل .

سيمتد من شجر الزيتون .  
فيصبح قوس قزح أسود .  
على الليلة الزرقاء .

آى !

وهزّت الصرخة .  
أوتار الريح الطويلة ،  
كما لو كانت مضرب كمان .

آى !

وساكنو الكهوف  
قد أطلوا وهم يحملون مصابيحهم .

آى !

## الصمت

أُنصِتُ يا بُنَيَّ إلى الصمت ،  
إنه صمت متموج ،  
صمت تنزلق دونه  
الوديان والأصداء  
ويحمل الجباه على الإطراق  
إلى الأرض .

## موكب « السيجيريا »

بين فراشات سود ،  
تسير فتاة سمراء  
والى جوارها حية بيضاء  
من الضباب .

أرض من نور ،  
سماء من تراب .

تسير مكبلة برجفة ،  
من لحن لن يصل أبداً .  
الفتاة قلبها من فضة .  
وفى يمنها خنجر

إلى أين تذهبين يا « سيجيريا »  
بلحنك الأبتى ؟  
وأى قمر سيلتقط ألك  
المصنوع من الجير وزهور الدفلى ؟

أَرْضٌ مِنْ نَوْرٍ ،  
سَمَاءٌ مِنْ تَرَابٍ .



## بعد المرور

الأطفال ينظرون  
إلى نقطة في أفق بعيد .

القناديل تنطفئ  
وفتيات عُمى  
يسائِلن القمر ،  
وفي الهواء تتصاعد  
دَوَّامات من العويل .

الجبال تنظر  
إلى نقطة في أفق بعيد .

وبعد

المتاهات  
التي يخلقها الزمان  
تأخذ في الاختفاء .  
( ولا يبقى  
إلا الصحراء . )

القلب ،  
منبع الرغبات ،  
يأخذ في الاختفاء .

( ولا يبقى  
إلا الصحراء . )

أوهام الفجر  
والقبلات ،  
تأخذ في الاختفاء

ولا يبقى  
إلا الصحراء .  
صحراء  
متموجة .

## قصيدة « السوليار ».

[ إلى خورخي ثالاميا ]

أرض يابسة  
أرض ساكنة  
ذات ليالٍ  
هائلة .

( ريح في خميلة الزيتون  
ريح في شعاب الجبال ) .

أرض  
عجوز  
أرض القنديل  
والألم .  
أرض  
الصحاري العميقة .  
أرض  
الموت بلا عيون  
والسهام .

( ريح في الطرقات ،  
نسيم في خمائل شجر الحور . )

## قرية

على الجبل الأجرد  
طريق عذاب .  
ماء صاف  
وأشجار زيتون معمرة .  
فى الأزقة .  
رجال ملثمون ،  
وعلى الأبراج  
دوامات ريح تدور .  
وتظل دائرة  
إلى الأبد .  
ويلى على القرية الضائعة ،  
فى أندلس العويل !

## خنجر

الخنجر

يغوص في القلب .

كما تغوص شياة المحراث

في الأرض الجدياء .

لا .

لا تغمدہ فی صدری .

لا .

الخنجر

مثل شعاع من الشمس ،

يشعل الوهاد .

الرهيبة .

لا .

لا تغمدہ فی صدری .

لا .

## مفترق الطرق

ريح شرقية :  
فانوس  
والخنجر  
الغائص فى القلب .  
للطريق  
رجفة .  
كرجفة الوتر  
المشدود  
كرجفة الطنين  
من ذبابة هائلة  
فى كل مكان  
أنا  
أرى الخنجر  
غائصاً فى القلب .

آى

الصرخة تترك فى الريح .  
ظل شجرة سرو .

(دعونى فى هذا الحقل  
أبكى .)

كل شىء فى هذا العالم قد تحطم  
لم يبق إلا الصمت .

(دعونى فى هذا الحقل  
أبكى .)

الأفق بلا نور  
قد عضته شعل النار .

(قلت لكم أن تدعونى  
فى هذا الحقل .  
أبكى .)



## مفاجأة

سقط صريعاً في الطريق  
وفي صدره خنجر مغمّد .  
لم يكن أحد يعرف من هو .  
يالها من رجفة شاعت في أوصال الفانوس !  
أماه !

يالها من رجفة .  
شاعت في أوصال الفانوس !  
كان ذلك في الفجر .  
لم يستطع أحد أن يطل على عينيه  
الشاخصتين إلى الهواء الجامد .  
صريعاً سقط في الطريق  
وفي صدره خنجر مغمّد .  
لم يكن أحد يعرف من هو .

## « السوليار »

لابسة الثياب السود  
تظن أن العالم بالغ الصغر  
وأن القلب هائل العظمة .

لابسة الثياب بالسود .

تظن أن الزفرة الرقيقة  
والصرخة يذهب بهما  
تيار الريح .

لابسة الثياب السود.

تركت الشرفة مفتوحة  
وفي الفجر

صبت فيها السماء كلها .

آى . آى . آى . آى !  
من لابسة الثياب السود !

## كهف

من الكهف تخرج  
زفرات طويلة .

(أزرق  
على أحمر )

الفجرى يسترجع  
ذكريات بلاد بعيدة .

(أبراج عالية  
وناس يلفهم الغموض .)

فى صوته المتقطع  
تذهب عيناه .

(أسود  
على أحمر .)

للكهف المبيّض بالجير  
رجفة بلون الذهب .

( أبيض  
على أحمر . )

## لقاء

لا أنت ولا أنا

فى وسعنا

أن نلتقى .

أما أنت فلما تعرفين .

وأما أنا ... فيالله !كم أحببتها!

امضى فى تلك الطريق .

فى يدي

ثقوب

من مسامير الصلب .

ألا ترين

كيف تنزف منى الدماء ؟

لا تنظري وراءك أبداً ،

امضى ببطء .

وصلى كما أصلى أنا

إلى « القديس كايثانو »

إذ لا أنت ولا أنا

في وسعنا

أن نلتقي .

## فجر

أجراس قرطبة  
تدق في الفجر .  
أجراس تعلن الصباح  
في غرناطة .  
بِكُنْ تحس كل الفتيات  
اللاتى يبكين برقة .  
« السوليار » اللابسة ثياب الحداد .  
فتيات  
الأندلس العليا  
والسفلى .  
صبايا إسبانيا  
ذوات الأقدام الصغيرة ،  
والثياب الراجفة ،  
اللاتى ملأن بالنور

مفارق الطرق .  
آه من أجراس قرطبة  
تدق في الفجر!  
وآه من أجراس تعلن الصباح  
في غرناطة !



## قصيدة « الصائتة »

[ إلى فرانسئلو إيجليسياس ]

### الرماة بالنبل

رماة النبل الذين يلفهم الغموض  
يدنون من إشبيلية .  
الوادي الكبير مفتوح .

قبعات عريضة شهباء  
وعباءات طويلة بطيئة الحركة  
آه ، ويلي على الوادي الكبير !

هم قادمون من بعيد ،  
من بلاد الألم .  
الوادي الكبير مفتوح .

وهم ذاهبون إلى متاهة .  
من الحب والبلُّور والحجر .  
آه ، ويلي على الوادي الكبير !

ليل

شمعة وقنديل ،  
وفانوس وفراشة حياحب .

هى مجرة النجوم  
التي تحف بـ « الصائتة » .

النوافذ الصغيرة الذهبية  
ترتجف ،  
وعند الفجر  
تهتز الصليبان المتراكبة ،

شموع وقنديل ،  
فانوس وفراشات حياحب .

## إشبيلية

إشبيلية برج

ملىء برمأة النبل المهرة .

إشبيلية للجراح ،

وقرطبة للموت .

مدينة تترقب

الألحان الطويلة ،

وتُلوّيها

حتى تصبح كأنها متاهات .

أو كأ غصان كرمة

مشتعلة

إشبيلية للجراح !

تحت قوس السماء ،  
وعلى سهلها النظيف ،  
تطلق  
سهم نهرها الدائم !

قرطبة للموت !

وفى الأفق المجنون  
تمزج إشبيلية فى نبيذها  
مرارة « دون خوان »  
وكمال « ديونيسيوس » .

إشبيلية للجراح .  
إشبيلية دائماً للجراح !

## موكب

من الدرب الضيق  
تأتى خراتيت غريبة .  
من أى مرج ؟  
من أى غابة أسطورية ؟  
وحيثما يقتربون ،  
يبدون كأنهم منجمون .  
سحرة خرافيون من طراز « مرلين » ،  
و « هو ذلك الرجل » ،  
« سيف دوراندارتى » المسحور ،  
« أورلاندو الغاضب » ،

## مشهد آلام المسيح

تمثال مريم العذراء ،  
المحاط بزينة من كرانيش ،  
يبدو كزهرة منفتحة كبيرة  
من التوليب .  
فى مركبك الذى تحف به الأنوار  
تمضين  
فوق الأمواج العالية  
لجموع المدينة ،  
بين أغانى « الصائتة » الكدرة  
ونجوم قطع البلُّور .  
تمثال مريم العذراء ،  
المحاط بزينة من كرانيش ،  
أنت تمضين فى نهر الشارع ،  
قُدماً إلى البحر !

## صائتة

المسيح الأسمر  
يعبر

من زنايق « اليهودية »  
إلى قرنفل إسبانيا .

انظروا إليه من حيث هو قادم

إسبانيا ،  
سماء صافية داكنة ،  
أرض مُحَمَّصَةٌ  
ومسائل يجرى فيها الماء  
بطيئًا بطيئًا .  
المسيح الأسمر  
بخصل شعره المحترقة  
ووجناته البارزة

وقد ابيضَّت حدقتاه .

انظروا إلى حيث هو ذاهب !



## شرفة

«لولا»

تردد أغاني «الصائنة» .

وصغار مصارعى الثيران

يحيطون بها ،

والحلاق

من باب دكانه

يتابع ألعانها

بهزات رأسه .

بين أزهار الحبق

وأوراق النعناع ،

تردد «لولا»

أغاني الصائنة .

«لولا» تلك

التي كانت تديم نظرها

فى صهرىج الماء .

## فجر

مثل إله الحب  
رماة النبل  
عميان .

وعلى الظلام الأخضر  
تترك السهام  
آثاراً من الزنايق  
الساخنة .

قاع سفينة القمر  
يمزق السحب البنفسجي  
وجعاب السهام  
تمتلىء بندى الفجر .

آه ، مثل إله الحب  
رماة النبل  
عميان !

## صورة « البتينايرا »

[إلى إيوخينيو مونتيس ] .

ناقوس

وتر العود الغليظ

الأصفر

تسمع دقات الناقوس .

على الريح

الصفراء

تفتح الدقات .

من البرج

الأصفر

توقف دقات الناقوس .

والريح بما تحمله من غبار

ترسم جآجىء سفن من فضة .

## طريق

مائة من الفرسان فى ثياب الحداد  
إلى أين هم ذاهبون ؟  
عبر السماء الراقدة  
لشجر البرتقال ؟  
لا إلى قرطبة ولا إلى إشبيلية  
سوف يصلون .  
ولا إلى غرناطة التى تطلق الزفرات  
شوقاً إلى البحر .  
هذه الخيل التى يُرَنَّقُ فى عيونها النوم  
سوف تحملهم  
إلى متاهة الصليبان  
حيث يرتجف النشيد .  
وقد دُقَّتْ فيه سبع آهات .  
إلى أين هم ذاهبون ؟

أولئك الفرسان الأندلسيون المائة  
عبر شجر البرتقال ؟

## الأوتار الستة

### القيثارة

تحمل الأحلام على البكاء .  
زفرة الأرواح الهائمة  
تنطلق من فمها المستدير .

وهي مثل رُتَيْلاء

تنسج نجمة كبيرة  
لكي تتصيد الزفرات ،  
الطافية على جُبِّها الأسود  
الخشبي .

## رقصة

فى بستان « البتينيرا »

فى ليل البستان  
ست عجريات ،  
فى ثياب بيض  
يرقصن .

فى ليل البستان  
وقد تَوَجَّنَ رؤوسهن  
بورود من الورق  
وحبال من الياسمين .

فى ليل البستان  
تبدو ثغورهن اللؤلؤية  
وهى تكتب ظلالاً  
محترقة .

وفى ليل البستان  
تطول ظلالهن ،  
حتى تبلغ السماء  
بنفسجية اللون .



## موت «البتينيرا»

فى البيت الأبيض

تموت سالبة عقول الرجال .

مائة فرس تدور .

وفرسانهن أموات .

تحت نجوم الشموع

الراجفة ،

يرتعش ثوب من نسيج الموهير

بين أفضالهن النحاسية

مائة فرس تدور .

وفرسانهن أموات .

ظلال طويلة حادة التقاطيع

تأتى من الأفق الأغبر ،

وَبِمُ قَيْثَارَةٍ  
يَنْقَطِعُ .

مائة فرس تدور  
وفرسانهن أموات .

## تطريب

آه على « البتينيرا » الغجرية !

آه ، آه على « البتينيرا » !

جنازتك لم تشيعها

الصبايا الطيبات .

الصبايا اللاتي يمنحن المسيح الميت

جدائل من شعورهن ،

ويلبسن طُرْحاً بيضاً

فى مواسم الأعياد .

كان مشيعو جنازتك

ناساً مشئومين .

ناساً قلوبهم

فى رئوسهم ،

تبعوك وهم ييكون

عبر الدروب الضيقة .

آه على « البتينيرا » الغجرية !

## من الأعماق

العاشقون المائة  
يرقدون إلى الأبد  
تحت الثرى اليابس .  
الأندلس لها  
طرق طويلة حمراء ،  
ولقرطبة شجر الزيتون الأخضر  
حيث تُنصب مائة من الصليبان  
لِتُذَكَّرَ بهم .  
العاشقون المائة  
يرقدون إلى الأبد .

## رنين النواقيس

من الأبراج

الصفراء ،

تسمع دقات النواقيس .

على الرياح

الصفراء ،

تفتح الدقات .

في الطريق ،

يسير الموت متوجاً ،

بأزهار البرتقال الذابلة .

وهو يغنى ويغنى

أنشودة

على قيثارته البيضاء ،

ويغنى ويغنى ويغنى .

فى الأبراج الصفرء ،  
تتوقف دقات الناكوس .

والريء بما تحمل من غبار  
ترسم آآىء سفن من فضة .

## صبيتان

[ إلى مكسيمو كيخانوف ]

« لولا »

تحت شجرة البرتقال  
تغسل أقمطة من القطن .  
هى . . . ذات العيون الخضراء  
والصوت البنفسجى .

آه للحب

تحت شجرة البرتقال المزهرة !

ماء الساقية

يجرى وقد غمرته الشمس،

وعلى شجرة الزيتون

كان العصفور يغنى .

آه للحب

تحت شجرة البرتقال المزهرة !

وحيثما يتقد مالدى « لولا »  
من صابون ،  
سوف يقدم شباب مصارعى الثيران .

آه للحب  
تحت شجرة البرتقال المزهرة !



« أمبارو »

« أمبارو »

ماأشدَّ وحدتك في بيتك

وأنت في ثوبك الأبيض !

( على خط الاستواء

بين الياسمين والفل )

تسمعين خرير النوافير العجيب

في فناء دارك ،

والهديل الأصفر الضعيف

لعصفور الكنار .

وفي المساء تنظرين

إلى ارتجاف الأرز تعلوها الطيور ،

وأنت تطرزين في ثققل

حروفاً على لوحة الخيش .

« أمبارو » ،

ما أشدَّ وحدتك في بيتك

وأنت في ثوبك الأبيض !

« أمبارو » ،

وما أصعب أن أقول لك :

أحبك !

## نقوش فلامنكية

[ إلى مانويل توريس ]

« قتي شريش » ، ذى القامة

التي تبدو قامة فرعون

### صورة

« سيلفريو فرانكونيتي »

بين إيطاليا

وفلامنكي ،

بأى روعة كان يغنى

ذلك الـ « سيلفريو » !

عسل إيطاليا الفائق الحلاوة

وليمون بلادنا البالغ اللذوعة ،

كانا ممتزجين فى النشيع العميق

لمغنى « السيجيريا » .

كانت صرخته رهيبة .

العجائز يقولون :

إنها كانت

توقف شعر الرءوس ،

وتفجر الزئبق

الذى يجرى فى زجاج المرايا .

كان صوته يعبر المقامات  
بغير أن يكسرهما .

كان مبدعاً  
وبستانياً .  
كان خالقاً لعرائش مظلة  
للصمت .

والآن ترقد ألحانه  
مع أصداؤها .  
ألحانه الصافية المكتملة .  
مع الأصدااء الأخيرة !

## « خوان بريقا »

« خوان بريقا »  
كان له جسد عملاق  
وصوت طفلة .  
لم يكن شيء يقارب تغريده .  
كان هو الألم نفسه  
وهو يشدو  
من وراء ابتسامة .  
غناء يستحضر أشجار الليمون  
في مالقة النائمة ،  
وكان في بكائه  
مذاق ملح البحر .  
مثل هوميروس  
كان يغنى ضريراً .  
وكان في صوته

شيء من بحر بلا ضوء  
وبرتقالة معصورة .

## مقهى غنائى

مصاييح من البلُّور  
ومرايا خُضِرَ .  
وعلى الخشبة الداكنة ،  
كانت « البرّالا »  
فى حوار مع الموت .  
هو يدعوها ،  
ولكنها لاتأتى ،  
فيدعوها من جديد .  
الجمهور يطلق  
الزفريات .  
وفى المرايا الخضر ،  
ذبول طويلة من الحرير  
تتلوّى .

## شكوى الموت

( إلى ميغيل بينيتش )

على السماء السوداء ،  
تلمع بروق متلوية صفراء .

لقد أتيت إلى هذه الدنيا بعينين  
وأنا ماضٍ منها بغيرهما .  
إلهي ، يا لهذا الألم الأكبر !  
ثم من بعد ،  
قنديل ولحاف  
على الأرض .

أردت أن أصل  
إلى حيث يصل الناس الطيبون .  
ووصلت . . . آه يا إلهي !  
ولكن . . . ثم من بعد ،  
قنديل ولحاف  
على الأرض .  
ليمون أصفر  
شجرة ليمون .



ألقوا بحبات الليمون  
إلى الريح .  
وها أنتم قد علمتم !  
لأنه بعد ذلك ،  
لن يكون إلا قنديل ولحاف  
على الأرض .  
على السماء السوداء ،  
تلمع بروق متلوية صفراء .

## رقية

اليَد المتشنجة  
كما لو كانت يد سَعْلَاة  
تفقاً العين الرمدة  
للقنديل.

ورقة بستونى .  
مقص منفرج الضلعين .

على الدخان الأبيض  
دخان العود المحترق ،  
يبدو كجُرْدٍ أعمى  
أو فراشة تائهة .

ورقة بستونى .  
مقص منفرج الضلعين .

اليَد تقبض على قلب

غير مرئي... ألا ترونها ؟  
قلب  
منعكس على الريح

ورقة يستوني  
مقص منفرج الضلعين .

## قداس على روح ميت

حينما يحل بى الموت ،  
ادفنونى مع قيثارتى  
تحت التراب .

حينما يحل بى الموت .  
ادفنونى بين شجر البرتقال  
وأغصان النعناع .

حينما يحل بى الموت ،  
ادفنونى - إذا أردتم -  
فى وردة الريح الدَّوَّارة

حينما يحل بى الموت ! .

## ثلاث مدن

( إلى بيلار ثوبياورى )

### مالقية

الموت  
يدخل ويخرج  
من الحانة .

تمر جياذ سود  
وقوم مشئومون  
عبر الطرق العميقة  
للقيثارة .

وهناك رائحة ملح  
ودم أثنى ،  
فى زهر الفلّ المحموم  
على شاطئ البحر

الموت  
يدخل ويخرج  
ويخرج ويدخل .  
الموت  
فى الحانة .

## حَيُّ فِي قَرْطَبَةِ

فِي الْبَيْتِ يَحْتَمُونَ  
مِنَ النُّجُومِ .  
ظِلَامُ اللَّيْلِ يَتَهَاوَى .  
فِي الدَّخْلِ طِفْلةٌ مَيِّتَةٌ  
وَوَرْدَةٌ حُمْرَاءُ  
مَدْفُونَةٌ فِي شَعْرِهَا .  
سِتَّةٌ بِلَابِلٍ يَبْكُونَهَا  
عَلَى حَاجِزِ النَّافِذَةِ الْحَدِيدِي .

وَنَاسٌ يَسِيرُونَ وَهُمْ يَتَنَهَّدُونَ  
بَقِيَّةَ رَاتِهِمُ الْمَفْتُوحَةِ .

## رقصة

«كارمن» ترقص  
فى شوارع إشبيلية .  
بشعرها المَبْيَضَّ  
وحدقيتها اللامعتين .

يا صبايا  
أزحَنَ الستائر !

فى رأسها تتطوى  
حية صفراء ،  
وهى تحلم خلال رقصتها  
بعشاق ينتمون إلى زمن بعيد .

يا صبايا ،  
أزحَنَ الستائر !

الشوارع مهجورة

وفى الأعماق تُستَشْرِفُ  
قلوبٌ أندلسية  
تبحث عن أشواك قديمة .

يا صبايا ،  
أزحن الستائر !



## ست نزوات

[ إلى ريخينو ساينت دي لاماثا ]

### إرهاص للقيثارة

فى مفترق الطرق

المستدير ،

ست صبايا

يرقصن .

ثلاث من لحم

وثلاث من فضة .

أحلام الأمس تبحث عنهن ،

ولكن مارداً ذهبيا وحيد العين

يضمهن إليه فى عناق .

القيثارة !

## قندیل

أوه ! بأى وقار تتأمل  
شعلة القندیل !

كأنها فقير هندی  
ينظر إلى باطنه الذهبی  
ثم يغیب وهو يحلم  
بأجواء ليس فيها ریح .

لَقَلُّ متوهج  
ينقر وهو فى وكره  
الظلام الكثيف ،  
ويظل مرتجفاً  
على العيون المستديرة  
للغجرى الميت .

## صاجات

صاجات .

صاجات .

صاجات .

جُعِلْ رَنًّا .

في عنكبوت

اليد .

أنت تُجَعِّدُ الهواء

الساخن .

ثم تختنق في تغريدك

الخشبي .

صاجات .

صاجات .

صاجات .

جُعِلْ رَنًّا .

## شجرة صَبَّار

« لا وكون » المتوحش .

ما أبهى وقفتك  
تحت ضوء الهلال !

كأنك لاعب بكرات كثيرة .

ما أبهى وقفتك  
أنت تتهدد الرياح !

« دافنى » و « أتيس »  
يعرفان ماتعانيه من ألم .  
لا يمكن تفسيره .

## مزمار

أخطبوط متحجر .

أنت تلف أحزمة رمادية  
حول بطون الجبال ،  
وأضراساً هائلة  
على الشُّعاب .

أخطبوط متحجر.

## صليب

الصليب  
(نقطة النهاية  
للطريق . )

ينظر إلى صورته في مجرى الجدول  
؛ نقط لكلام محذوف . )

## مشهد

### المقدم ضابط الحرس المدنى

( فى قاعة الأعلام )

المقدم - أنا المقدم من ضباط الحرس المدنى .

الرقيب - نعم .

المقدم - وليس لأحد أن يكذب ما أقول .

الرقيب - لا . ليس لأحد .

المقدم - وعلى صدرى ثلاث نجومات وعشرون صليباً .

الرقيب - نعم .

المقدم - وقد حيانى الكردينال رئيس الأساقفة بشرائطه

البنفسجية الأربع والعشرين .

الرقيب - نعم .

المقدم - أنا المقدم . أنا المقدم . أنا المقدم من ضباط الحرس

الوطنى .

( روميو وجولييت فى ثياب سماوية وبيضاء وذهبية يتعانقان

فى الحديقة المرسومة على صندوق السيجار . الضابط الكبير

يربت على ماسورة بندقيته المليئة بظلال بحرية . صوت يأتى

من الخارج . )

صوت - قمر ، قمر ، قمر ، قمر .

من زمن الزيتون .

« كاثورلا » تبرز برجها

و « بنيميخى » تخفيه .

قمر ، قمر ، قمر ، قمر .

ديك يصيح فى القمر .

سيدي الحاكم ، بناتك

ينظرن إلى القمر .

المقدم - ماذا يجرى هنا ؟

الرقيب - هذا عجرى !

( العجرى ينظر بعينى بغل فتى ، فيثير غضب

المقدم ضابط الحرس الوطنى )

المقدم - أنا المقدم ، من ضباط الحرس الوطنى .

العجرى - نعم .

المقدم - من أنت ؟

العجرى - عجرى .

المقدم - وما هو العجرى ؟

العجرى - شىء من الأشياء .

المقدم - ما هو اسمك ؟

العجرى - هو ما ذكرت .

لمقدم - ماذا تقول ؟

لعجرى - عجرى .

لرقيب - لقد التقيت به فأحضرتة .

لمقدم - وأين كنت ؟



الغجرى - على قنطرة الأنهار .  
 المقدم - ولكن . . . أية أنهار ؟  
 الغجرى - كل الأنهار .  
 المقدم - وماذا كنت تصنع هناك ؟  
 الغجرى - برجاً من القرفة .  
 المقدم - يارقيب !  
 الرقيب - أمرك ياسيدى المقدم ، من ضباط الحرس الوطنى .  
 الغجرى - لقد اخترعت أجنحة للطيران ، وأنا أطيّر بها . وفى  
 شفتى كبريت وورد .  
 المقدم - آى !  
 الغجرى - ولو أننى لا أحتاج إلى أجنحة ، فأنا أطيّر بغيرها .  
 وفى دمنى سحب وخواتم .  
 المقدم - آى ! آى !  
 الغجرى - وفى يناير لدى أزهار برتقال .  
 المقدم - آى ! آى ! آى ! آى !  
 الغجرى - و برتقال فى الجليد .  
 المقدم - ( مُتَلَوِّياً ) آى ! آى ! آى ! آى ! . . .  
 بوم بيم بام ! ( يسقط ميتاً . )  
 ( روح المقدم ضابط الحرس الوطنى وهى مزيج  
 من التبغ والقهوة باللبن تخرج من النافذة . )  
 الرقيب - النجدة !

## أغنية الفجرى المجلود

( فى فناء المعسكر أربعة من جنود الحرس

المدنى يجلبون عَجْرياً . )

— أربع وعشرون صفقة .

خمس وعشرون صفقة .

وبعد ذلك فى الليل ،

ستلبنى أمى فى الورق المفضض .

أيها الجنود ، يا حراس الطرق ،

أعطونى جرعة ماء .

ماء فيه سمك وسفن .

ماء ، ماء ، ماء ، ماء .

آه يا قائد الجنود !

يا من أنت فى مكتبك فى الأعلى !

أليست هناك مناديل من حرير

أنظف بها وجهى ؟ !

## حوار « المر » حقل

صوت :

- يامرُّ

زهور الدُّفلى فى فناء بيتى .

قلب اللوزة المرة

... يامرُّ .

( يدخل ثلاثة فتيان بقبعات عريضة )

الفتى الأول - سوف نصل متأخرين .

الفتى الثانى - سيدركنا الليل سريعاً .

الفتى الأول - وما شأن ذلك ؟

الفتى الثانى - هوأت وراءنا .

الفتى الأول - يامرُّ ! ( فى صوت مرتفع )

المر ( من بعيد ) - ها أنا قادم .

الفتى الثانى ( صائحاً ) - مرَّ !

المر ( فى هدوء ) - ها أنا قادم !

الفتى الأول - ما أجمل أشجار الزيتون !

الفتى الثانى - نعم .

( صمت طويل )

الفتى الأول - لا يعجبني السير فى الليل .  
الفتى الثانى - ولأنا .  
الفتى الأول - إنما خلق الليل للنوم .  
الفتى الثانى - هذا حق .  
( ضفادع وجعلان تؤنس هدوء الصيف الاندلسى . المر يسير  
ويدها على خاصرته )  
المر - آى ! آى ! آى ! آى !  
( صيحة المرفى غنائها بنغمتها المستطيلة  
تهز قلوب من استمعوا إليه )  
الفتى الأول - ( من بعيد ) - مُرَّ !  
الفتى الثانى ( شبه تائه ) - مُرَّر !  
( المرو حده فى وسط الطريق يطبق عينييه  
الخضراوين الكبيرتين ، ويحكم شد سترته القطنية  
المخملية على وسطه . جبال عالية تحيط بالطريق .  
ساعته الفضية الكبيرة ترسل دقاتها الخفية فى  
جيبه مع كل خطوة )  
( يأتى فارس راكضاً على صهوة جواده )  
الفارس ( موقفاً حصانه ) - مساء الخير !  
المر - يصحبك سلام الله !  
الفارس - أنت ذاهب إلى غرناطة ؟  
المر - إلى غرناطة مسيرى .  
الفارس - إذن فلنمض معاً .  
المر - لا بأس بذلك .  
الفارس - لماذا لا تتركب ورائى ؟

المر - لأن قدمي لا يحسان بالوجع .  
الفارس - أنا قادم من مالقة .  
المر - طيب .  
الفارس - هناك يعيش إخوتي .  
المر ( في امتعاض ) - وكم هم ؟  
الفارس - ثلاثة ، وهم يبيعون الخناجر . هذه هي تجارتهم .  
المر - فلتهنأ لهم التجارة .  
الفارس - من الفضة والذهب .  
المر - الخنجر لا يعدو كونه خنجراً .  
الفارس - لا ، أنت مخطيء .  
المر - شكراً .  
الفارس - خناجر الذهب تنطلق وحدها إلى القلوب . وأما  
خناجر الفضة فتقطع الرقاب كما لو كانت حزمة من العشب .  
المر - ألا تصلح لقطع الخبز ؟  
الفارس - الناس يقطعون الخبز بأيديهم .  
المر - نعم ، هذا صحيح .  
( الحصان يتحرك في قلق )  
الفارس - يا حصان !  
المر - لقد حل الظلام .  
( الطريق الملتوى يُموج ظل الحيوان )  
الفارس - أتريد خنجراً ؟  
المر - لا .  
الفارس - أنظر . إنه هدية .  
المر - ولكني لا أقبلها .

الفارس - لن تتكرر لك هذه الفرصة .

المر - من يدري ؟

الفارس - الخناجر الأخرى غير صالحة . الخناجر الأخرى لينة  
وتخاف من الدم . أما تلك التى نبيعها فهى باردة . أتفهم ؟ هى  
تمضى باحثة عن أكثر المواضع حرارة . وهناك تستقر .

( المر يصمت . تسرى البرودة فى يده اليمنى كما  
لو كان قابضاً على قطعة من ذهب )

الفارس - ما أجمل هذا الخنجر !

المر - أهو يساوى الكثير ؟

الفارس - ولكن ألا تريده ؟

( يخرج خنجراً من ذهب يتوهج سنه كما لو كان شعلة قنديل )  
المر - قد قلت لك : لا .

الفارس - يا غلام . اصعد واركب معى .

المر - لم يدركنى التعب بعد .

( يعود الحصان للنفور )

الفارس ( جاذباً بالجام ) - ولكن أى حصان هذا !

المر - هو بسبب حلول الظلام .

الفارس - كما كنت أقول لك : فى مالقة يعيش إخوتى الثلاثة .  
ما أكثر ما يبيعون من خناجر . فى الكنيسة الكبرى اشتروا  
منهم ألفين لكى يزينوا بها المذابح ، ولكى يضعوا تاجاً على قمة  
برج الكنيسة . سفن كثيرة كُتِبَتْ عليها أسماءها . حتى أفقر  
الصيادين على ساحل البحر يستضيئون فى ظلام الليل بما  
تشعه من نور صفحاتها القاطعة .

المر - شىء جميل !

الفارس - وهل هناك من ينكر ذلك ؟

( يتكاثف الظلام كما لو كان خمراً معتقة منذ مائه سنة .  
حيّة الجنوب الضخمة تفتح عينيها في الفجر ، والنائمون  
تستبد بهم رغبة ملحة في الإلقاء بأنفسهم من الشرف وقد  
جذبهم السحر الشرير الذي يشعه العطر في الأفق البعيد )  
المر - يبدو لي أننا ضللنا الطريق .

الفارس - ( موقفاً حصانه ) - أترى ذلك ؟

المر - لقد شغلنا الحديث .

الفارس - أليست هذه أضواء غرناطة ؟

المر - لا أدري .

الفارس - العالم كبير جداً .

المر - نعم ، لأنه خالٍ من البشر .

الفارس - هذا ما تقوله أنت .

المر - ما أشد ما أعانيه من يأس ! آى ! آى !

الفارس - أهذا لأنك ستصل إلى هناك ؟ ماذا تصنع ؟

المر - ماذا أصنع ؟

الفارس - إذا بقيت في مكانك فلماذا تريد البقاء ؟

المر - لماذا ؟

الفارس - أنا راكب هذا الحصان ، وأنا أبيع الخناجر ،

ولكن لولم أفعل ذلك فماذا يحدث ؟

المر - ماذا يحدث ؟

( لحظة صمت )

الفارس - نحن على وشك الوصول إلى غرناطة .

المر - أهذا ممكن ؟

الفارس - انظر إلى الشرفات كيف تتألق بالنور .  
المر - نعم ، هذا مؤكد .  
الفارس - والآن لن ترفض الركوب معي .  
المر - انتظر قليلاً .  
الفارس - هيا اركب . اركب بسرعة ، فمن الضروري أن نصل  
قبل الفجر . . . . . وخذ هذا الخنجر . هو هدية مني لك !  
المر - آى ! آى ! آى !  
( الفارس يساعد المر على الركوب . ويتخذ الاثنان طريقهما إلى  
غرناطة . الجبال خلفهما مغطاة بالشجر السام والأشواك )



## أغنية أم « المر »

هم يحملونه ملفوفاً فى ملاءتى  
وفى سعف النخيل وزهور الدفلى .

اليوم السابع والعشرون من أغسطس  
بخنجر من ذهب .

الصليب ! ولتَمُضْ قُدِّماً !  
كان أسمر، وكان مُراً .

جاراتى ، ناولتنى جُرَّة  
من الصفر بعصير الليمون .

الصليب ! لا يَبْكُ منكَن أحد .  
المر الآن فى القمر .

- ٤ -

الليوان الفجرى  
( ١٩٢٤ - ١٩٢٧ )



## قصيدة القمر القمر

[ إلى كونتشيتا غرسية لوركا ]

القمر يأتى إلى المصهر  
بأردافه المصطنعة من الفل ،  
الطفل ينظر إليه ... ينظر ،  
الطفل يديم إليه النظر .  
فى الهواء المستطار  
يحرك القمر ذراعيه  
ويبدى فى شبق ترائبه  
من القصدير الصلب .  
أهرب يا قمر ، يا قمر ، يا قمر .  
فإن الغجر إن قدموا  
فإنهم سيصوغون من قلبك  
قلائد وخواتم بيضاء .  
أيها الطفل ، دعنى أرقص .  
حينما يأتى الغجر  
سوف يجدونك فوق السندان

وعيناك مغمضتان .  
أهرب يا قمر ، يا قمر ، يا قمر .  
فأنا أحس بوقع جيادهم .  
أيها الطفل ، دعنى ولا تطأ  
بياض ثوبى المنشئ .

كان الفارس يقترب  
وهو يقرع الطبل فى السهل  
والطفل فى داخل المصهر  
مازال مغمض العينين .  
بين خميلة شجر الزيتون  
كان الغجر قادمين - برنز وحلم -  
ورؤوسهم مرفوعة  
وعيونهم مسيلة  
آه من غناء بومة الأطلال ،  
آه من غنائها فوق الشجرة !  
فى السماء يمضى القمر  
وقد أخذ بيد طفل  
وفى داخل المصهر يبكى الغجر  
وهم يطلقون الصرخات .  
الهواء يحرسه .. يحرسه  
الهواء يديم حراسته .

## الجميلة والهواء

[ إلى داماسو ألونسو ]

### الجميلة قادمة

وهي تقرع دفها القمري من الرق

عبر طريق برى مائى

من قطع البلور وزهر الرُّند .

الصمت الخالى من النجوم

وهو هارب من الدقات المتكررة

يقع على موج البحر المضطرب

ويغنى ليلته المليئة بالسّمك .

على قمم الجبال

ينام خفراء الحدود المسلحون

وهم يحرسون الأبراج البيضاء

حيث يقيم الإنجليز .

وعجر الماء يقطعون فراغهم

بإقامة منتجعات من الودع

وأغصان الصنوبر الخضراء .

✱

### الجميلة قادمة

وهى تقرر دُفُّها القمري من الرق .  
وعند رؤيتها ثارت الريح  
التي لاتنام أبداً .  
القديس كريستوبل عارياً .  
مليئاً بالسنة سماوية  
ينظر إلى الصبية وهى تعزف  
على غَيْطَة (١) شجية غائبة .

يا صبية ، دعيني أرفع ثوبك  
حتى أراك .  
ودعيني أفتح بأصابعي القديمة  
وردة بطنك الزرقاء .

الجميلة تلقى بالدف  
وتجرى بغير توقف .  
والريح فى فحولة الذكر  
تطاردها بسيف ملتهب .

(١) الغيطة : هى الآلة الموسيقية المعروفة بِالْقَرَب ، وكانت شائعة فى الأندلس العربية  
والمغرب وإسبانيا المسيحية منذ العصور الوسطى ، ولهذا كان اسمها العربى مطابقاً  
لاسمها الإشباني (gaita) .

البحر يقطب هديره  
وأشجار الزيتون تشحب وجوها .

تصدق نايات الأرض الظليلة  
وصفائح الجليد كأنها أجراس قرصية كبيرة .

اجرى يا جميلة ... اجرى  
حتى لا تلحقك الريح الخضراء !  
اجرى يا جميلة ... اجرى !  
وانظري من أين يأتي الريح الذكر !  
شبقا كوحش « ساتير »<sup>(١)</sup> ذى نجوم واطئة  
ذات السنة ملتمعة .



الجميلة وقد استبد بها الذعر  
تدخل البيت الذى يملكه  
قنصل الإنجليز  
فى مرتفع أعلى من شجر الصنوبر .

ويهرع ثلاثة من خفراء الحدود  
وقد أفزعتهم الصرخات  
وهم ملتفون فى عبااتهم السوداء  
وأثبتوا قبعاتهم العسكرية على رؤوسهم .

(١) الساتير فى الميثولوجيا الإغريقية الرومانية كائن خرافى نصفه الأعلى من جسم رجل ونصفه الأسفل من جسم تيس ، وهم يتخونونه رمزاً للشبق الهائج .



الإنجليزى يقدم للغجرية  
كوباً من اللبن الفاتر  
وكأساً من الخمر القوية

ولكن الجميلة لا تشربها .

وبينما تقص باكية  
مغامرتها مع أولئك القوم ،  
على سطوح البيوت الأردوازية  
تعوى الريح العضوض غاضبة .

## مشاجرة

[ إلى رافاييل منديث ]

فى وسط الغور العميق  
تلتهم خناجر « البسيط » ،  
جميلة يزينها دم الأعداء ،  
كأنها سمكات .  
هناك ضوء صلب شاحب  
يحدد على خضرة المرج المرة  
أشباح خيل هائجة  
ومقاطع جانبية لفرسان .  
فى أعلى شجرة زيتون  
تبكى امرأتان عجوزان .  
و ثور المشاجرة  
يصعد على الجدران .  
وكان ملائكة سود  
يأتون بمناديل وبماء مثلج .  
كانوا ملائكة ذوى أجنحة هائلة ،

مصوغة من خناجر « البسيط » .  
« خوان أنتونيو » من قرية « مونتيا »  
يتدحرج على السفح  
وجسده تغطيه الزنايق .  
وفى صدغيه رمانة ،  
والآن ينصب صليباً من نار ،  
فى طريق الموت .

✱

القاضى ، ومعه رجال الحرس المدنى ،  
يأتى إلى أشجار الزيتون .  
الدم المنزلق يئن  
بأغنية بكاء كأنها حية .  
يا سادتى من رجال الحرس المدنى :  
هنا حدث ما جرت العادة بحدوثه .  
قتل أربعة من الرومان ،  
 وخمسة من القرطاجيين .

✱

المساء المجنون من خفيف شجر التين  
ومن اللغظ الساخن  
يقع خائراً على الأفخاذ

الجريحة للفرسان .  
وهناك ملائكة سود كانوا يطيطرون  
فى الهواء ساعة الغروب .  
كانوا ملائكة نوى ضفائر طويلة  
وقلوب من زيت .

## قصيدة جُوالَة أثناء النوم

[ إلى جلوريا حننير وفرناندوى لوس ريوس ]

خضراء ، أحبك خضراء .  
ريحاً خضراء ، أغصاناً خضراً .  
المركب على البحر  
والحصان فى الجبل .  
هى تحلم فى شرفتها  
وظلها يصل إلى خصرها .  
لحم أخضر ، شعر أخضر ،  
وعيون من فضة باردة .  
خضراء ، أحبك خضراء  
تحت القمر العجوى ،  
الأشياء تنتظر إليها  
وهى لاتستطيع إليها النظر .

\*

خضراء ، أحبك خضراء .

نجوم كبيرة من الجليد  
آتية مع سمكة الظلمة  
فاتحة الطريق نحو الفجر .  
شجرة التين تحك ريحها  
بخشونة أغصانها ،  
والجبل ، كقط سارق ،  
ينفش حشائشه المرة .  
ولكن من الذى يأتى ؟ ومن أين ؟  
هى ما زالت فى شرفتها ،  
لحم أخضر ، شعر أخضر ،  
وهى تحلم بالبحر المر .  
يا رفيقى ، أود أن تبدلنى  
بحصانى بيتك ،  
وبسرجى مرآتك ،  
وبخنجرى لحافك .  
يا رفيقى ، أنا آتٍ ودمى ينزف  
من شعاب جبال « قبرة » (١) .  
لو كان الأمر بيدي يا فتى  
لأتمنا هذه الصفقة .  
ولكنى لم أعد أنا

(١) قبرة Cabra : مدينة صغيرة فى محافظة قرطبة .

ودارى لم تعد دارى .  
يا رفيقى ، أنا أريد الموت  
ميتة لائقة على فراشى .  
على سرير من الصلب إن أمكن ،  
وعليه ملاءات من رقيق الكتان .  
ألا ترى جرحى  
من الصدر إلى الحنجرة ؟  
ثلاثمائة وردة سمراء  
على قميصك الأبيض .  
دمك يرشح نافذ الرائحة  
حول الحزام الذى يلف بطنك .  
ولكنى لم أعد أنا  
ودارى لم تعد دارى .  
دعونى أصعد على الأقل  
إلى الشرفات العالية .  
دعونى أصعد ! دعونى !  
إلى الشرفات الخضراء ،  
إلى سياج القمر ،

حيث يُسمع هدير الماء .

\*

ويصعد الرفيقان

إلى الشرفات العالية .

تاركين وراءهما آثاراً من الدماء ،

تاركين وراءهما آثاراً من الدموع .

وعلى أسطح البيوت

فوانيس من الصفيح

وآلف دف من البلُّور

تجرح الفجر .

\*

خضراء ، أحبك خضراء

ريحاً خضراء ، أغصاناً خضراً

صعد الرفيقان .

كانت الريح بذبولها الطويلة

تترك على الأقواء طعاماً غريباً

من العلقم والنعناع وزهر الحبق ،

يا رفيقى أين ؟ ... قل لى أين ...

أين تكون ابنتك المرأة ؟

ما أكثر ما انتظرتك



ما أكثر ما أطالت أنتظارك !  
بوجه ناضر ، وشعر أسود  
فى هذه الشرفة الخضراء !

\*

على وجه صهريج الماء  
كانت الغجرية تتأرجح .  
لحم أخضر وشعر أخضر .  
وعيون من فضة باردة .  
كتلة ثلج متدلّية من القمر  
تسندها على صفحة الماء .  
الليل تحول إلى أليف حميم  
كأنه ميدان صغير .  
وكان الحراس المدنيون السكارى  
يقرعون الباب .  
خضراء ، أحبك خضراء .  
ريحاً خضراء ، أغصاناً خضراً .  
المركب على البحر ،  
والحصان فى الجبل .

## الراهبة الغجرية

[إلى خوسيه مورينو بيا ]

صمت من الجير والريحان .  
زهرات بنفسج بين الأعشاب العطرة .  
الراهبة تطرز زهرات خيري<sup>(١)</sup>  
على النسيج التُّبْنِيَّ الخشن .  
وفى النجفة الرمادية .  
تحوم سبعة من طيور المنشور .  
من بعيد تأتي زمجرة الكنيسة  
كأنها دب استلقى على ظهره .  
ما أبدع ما تطرز الراهبة ! وبأى رشاقة !  
على النسيج الخشن ؛  
هى ترغب فى تطريز  
أزهار من ابتكار خيالها .  
أى عباد شمس ! أى مغنوليا  
من الترترو والأشرطة !  
أى زعفران وأى أقمار  
تنقشها على مفرش القداس !

(١) الخيري ( بكسر الخاء ) نبات له زهر أصفر اللون طيب الرائحة ، وقد انتقل اللفظ من العربية إلى الإسبانية فى صورة alheli .

وفى المطبخ القريب  
تُحلى خمس ترنجات .  
القروح الخمسة على جسد المسيح  
منقوشة بحرير من « المرية » .  
وفى عيني الراهبة  
فارسان يركضان .  
ويأتى لغط أخير أصم  
يباعد بين قميصها وجسدها ،  
وحينما تنظر إلى السحب والجبال  
فى الأفق البعيد المتصلب  
ينكسر قلبها  
المصنوع من سكر وزهرة ليمون .  
آه ، لذلك السهل الذى انتصبت  
عليه عشرون من الشמוש !  
وأى أنهار ناهضة على أقدامها  
تلمحها تخيلاتها !  
ولكنها تواصل تطريز أزهارها  
بينما فى مهب النسيم  
تلعب أشعة الضوء وهى واقفة  
دوراً من الشطرنج  
من خلال ثقوب المشربية .

## الزوجة الخائنة

[ إلى ليديا كابريرا وخادمتها السوداء ]

وأنا الذى ذهبت بها إلى النهر

معتقداً أنها عذراء ،

فإذا بها ذات زوج .

كانت ليلة القديس « سنتياغو »

وكان لقاؤنا أشبه بالتزام محرج .

أنطفأت فوانيس الطريق

وأضاءت صرارات الليل .

وعند زوايا الطريق الأخيرة

تحسست نهديها النائمين ،

فتفتحا بسرعة

كأنهما باقتا زهر .

كان قميصها الداخلى المنشئ

يتردد حفيفه فى سمعى

كأنه قطعة حرير

تشقها عشرة سكاكين .  
وبدا كما لو كانت كئوس الأشجار  
قد نمت بغير نور فضى فى أعاليها .  
وأفق من الكلاب  
يعوى بعيداً عن النهر .

\*

بعد أن عبرنا شجر العُلُق ،  
وقصب الخيزران ، والعوسج الشائك ،  
صنعت حفرة على الطين  
تحت جدائل شعرها الكثيف .  
ونزعت ربطة عنقى  
ونزعت هى ثوبها .  
خلعت أنا حزامى بمسدسه  
وخلعت هى قمصانها الداخلية الأربعة .  
لم يكن للفل ولا لأصداف البحر  
مثل ملاسة بشرتها الرقيقة  
ولا لبلُّور المرايا  
مثل تألق ذلك الجسد .  
كان فخذها يتقلتان من يدي  
كسمكتين مذعورتين .

نصفهما مليئان بالنار  
ونصفهما فى برودة الثلج .  
فى تلك الليلة  
قطعت أبداع ما مشيت من طرق ،  
وأنا ممتطٍ مهرة من صدف لؤلؤى  
بغير لجام ولا ركاب .  
لست أريد ، بحكم رجولتى ،  
إعادة ما قالته لى .  
فنور العقل  
يفرض على أن أكون مهذباً .  
لَحِقْتُ بها قذارة القبلات والرمل  
حينما ذهبت بها إلى النهر .  
وفى الهواء كانت تتضارب  
سيوف الزنايق .  
تصرفت كما كان يليق بى  
بصفتى غجرياً أصيلاً .  
أهديتها علبة خياطة  
كبيرة من الحرير اللامع التَّبنّى اللون  
ولم أرد أن أرتبط معها بعلاقة حب ،  
فقد كانت ذات زوج  
وهى تقول لى إنها عذراء  
حينما ذهبت بها إلى النهر .

## قصيدة الألم الأسود

[ إلى خوسيه نابارو بارنو ]

مناقير الديكة

تحفر الأرض بحثاً عن الفجر ،

و « سوليداد مونتويا » تسير هابطة

على سفح الجبل المظلم .

فتاة لحمها بلون النحاس الأصفر ،

تفوح منها رائحة الخيل والظلال

ونهداها كسندانين علاهما الدخان

يزفران بأغانٍ مدوّرة .

— سوليداد ، عمن تسألين

وأنت وحيدة في مثل هذه الساعة ؟

— لأسألُ عَمَّنْ أريد ،

فما يهملك أنت من ذلك ؟

أنا أبحثُ عَمَّنْ يعنيني البحث عنه :

عن سعادتي وعن نفسي .

— سوليداد يا مبعث أحزاني

ما أنت إلا جواد جموح

ما زال يجري حتى انتهى إلى البحر

فابتلعتة أمواجه .  
- لا تذكرنى بالبحر  
فإن الألم الأسود ينبع  
من أرض الزيتون  
وتحت حفيف أوراق شجره .  
- سوليداد ، أى ألم أصابك ؟  
أى ألم ذهب بنفسك حشرات ؟  
أنت تبكين بدموع كعصير الليمون  
وطعم الانتظار المرّ على شفّتك !  
- نعم ، أى ألم فظيع يمزق نفسى !  
أنا أجرى من بيتى كأنتى مجنونة  
وضفائرى تنسحب على الأرض  
من المطبخ إلى الفراش !  
أى ألم ! حتى أصبح جسمى وثيابى  
فى سواد السَّبَج (١) .  
ويلى على ثيابى الحريرية !  
ويلى على فخدئى الناصعى البياض !  
- سوليداد ، اغسلى جسدك  
بالماء الذى ينهل منه اليمام ،  
واتركى قلبك فى سلام

(١) السَّبَج الخرز الحالك السواد ، وقد دخل اللفظ من العربية إلى الإسبانية فى صورة azabache .



ياسوليداد مونتويا .  
ماء النهر فى سفح الجبل  
مترنم الخريز ، تنعكس عليه صورة السماء .  
وضياء الفجر الجديد تجلله  
بأزهار القرع الصفراء .  
آه يا ألم الفجر !  
ألم نظيف دائم الوحدة  
ألم خفى المجرى  
بعيد الفجر !

## القديس ميغيل ( غرناطة )

[ إلى دييجو بويجاس دي دلاو ]

من الشرفة تُرى  
عند الجبل ، الجبل ، الجبل ،  
بغال وظلال بغال  
محمّلة بأثقال من عبّاد الشمس .

عيونها فى الوهاد  
غائمة بظلمات هائلة .  
وفى زوايا الهواء  
يقعقع الفجر المالح .

سماء من البغال البيض  
تغمض عيونها الزئبقية  
مانحة للعمّة الهائلة  
نهاية للقلوب .  
والماء تشتد برودته  
حتى لايلمسه أحد .  
ماء مجنون ومكشوف  
عند الجبل ، الجبل ، الجبل .

\*

القديس « ميغيل » رافلاً في ثيابه من الدنتيالاً  
وهو في مخدع برجه  
يبدى فخذية الجميلين  
تلفهما أضواء الفوانيس .

رئيس ملائكة مُروّض  
في لفتته في الساعة الثانية عشرة  
يصطنع غضباً حلواً  
من ريش وبلايل .  
القديس ميغيل يغنى في مرايا الزجاج  
ويبدو غلاماً جميلاً لثلاثة آلاف ليلة  
أرجاً من الماء المعطر  
بعيداً عن الأزهار .

✱

البحر يرقص على الشاطئ  
قصيدة شرفات .  
وضفاف القمر  
تفقد القصب وتكسب الأصوات .  
صبايا من مدريد يأتين وهن يأكلن  
بذور عباد الشمس .  
وأردافهن الضخمة المكورة  
كأنها كواكب من نحاس .  
ويأتى رجال لهم مقام رفيع ،

وسيدات على وجوههن مسحة من الحزن  
وسمرة طبعها الحنين  
إلى أمس مضى من البلايل .  
ويقدم أسقف « مانيلا »  
فقيراً أعشى بصره الزعفران  
لكي يقيم القداس بحدّين  
للنساء وللرجال .

\*

كان القديس « ميغيل » مخلداً للسكينة  
في مخدع برجه ،  
بقمصانه التي أثقلتها زينة  
من مرايا صغيرة وشرائط .

القديس ميغيل ملك الأرضين  
والأرقام المفردة  
بين الشرفات المطلة على موكبه  
وصيحات الهتاف المختلط .

— ٩ —

## القديس رافاييل ( قرطبة )

[ إلى خوسيه إيثيريو كروسييس ]

— ١ —

عربات مغلقة كانت تصل  
إلى ضفاف القصب  
حيث تصقل الأمواج  
ظهراً رومانيا عارياً .  
عربات يمدّها « الوادي الكبير »  
وبلّوره الناضج  
بين صفائح من الأزهار  
وأصداء سحب داكنة .  
الأطفال يصدحون بأغانٍ  
تتحدث عن عبث الحياة وزوالها ،  
وهم بقرب العربات القديمة  
التائهة في ظلام الليل .  
ولكن قرطبة لا ترتعش  
تحت وطأة السر الغامض ،  
فإذا كان الظلام يقيم  
بناءً من الدخان ،  
فإن هناك قاعدة من الرخام  
تدعم بريقها الطاهر الصلد .

بَتَلَاتُ من الصفيح الرقيق  
توشى الألوان الرمادية الصافية  
للنسيم ، وهى ممتدة  
على أقواس النصر .  
وبينما ينفخ الجسر  
هديراً من « نبتونو » إله البحر ،  
يهرب بائعو التبغ  
عبر السور المتهدم .

— ٢ —

سمكة وحيدة فى الماء  
تجمع بين قرطبتين :  
قرطبة البيضاء من أعواد القصب  
وقرطبة ذات العمارة العتيدة .  
هناك أطفال جامد والوجوه  
يتعرّون على شاطئ النهر .  
كأنهم تلاميذ « طوبياس » (١)

(١) فى هذا البيت والذى يليه إشارتان : الأولى إلى أحد الأحداث المروية فى العهد القديم : « طوبياس » الفتى الذى أرسله أبوه ليقتضى ديناً له على رجل يدعى جابايل ، ورافقه الملاك رافاييل فى رحلته حتى نهر دجلة ، وحدث أن خطر للشاب أن يستحم فى النهر ، فهاجمه حوت كاد يلتقمه لولا أن أنقذه الملاك ( العهد القديم ، كتاب طوبياس ، الإصحاح السادس ، آيات ١ - ٥ ص ٥٠٢ من الترجمة الإسبانية ، مدريد ١٩٧٠ ) والإشارة الثانية إلى مرلين ، وهو شخصية أسطورية كانت تعيش - على ما يزعمون - فى فرنسا ، وينسب إليه التمكن من فنون السحر والتنجيم ، وكثيراً ما يرد ذكره فى قصص القروسية .

أو أنصاف سحرة مثل « مرلين » .  
وهم في حرصهم على مضايقة السمكة  
يسألونها في سخرية  
إن كانت تريد أزهاراً من خمر  
أو قفزات من الهلال .  
ولكن السمكة التي تُذهَّبُ الماء  
وتصبغ الرخام بلون الحداد  
تلقنهم درساً في الاتزان  
من العمود المتفرد .  
رئيس الملائكة العجمي (١)  
المتزين بالترتر الداكن  
كان يتلمس الهدير والمهد  
في ملتقى الأمواج .

\*

سمكة وحيدة في الماء .  
قرطبتان فائقتا الجمال .  
قرطبة تتكسر في دفقات الماء  
وقرطبة سماوية ضامرة .

(١) العجمي (بالإسبانية aljamiado) لفظ يستعمله الشاعر استعمالاً مجازياً ،  
فهو في الأصل يعنى الكتابة التي كان يصطنعها الموريسكيون ( بقية الشعب المسلم في  
إسبانيا بعد زوال دولتهم ) إذ كانوا يكتبون الإسبانية ولكن بحروف عربية حفاظاً على  
تراثهم الثقافي الإسلامي ، والكلمة نفسها مأخوذة من اللفظ العربي « العجمي » . وإنما  
استخدمها الشاعر في وصف هذا الملاك الذي يعد الآن راعي مدينة قرطبة عاصمة الخلافة  
القديمة ، لكي يشير إلى طابع المدينة التي تمتزج فيها العناصر الإسلامية والمسيحية .

— ١٠ —

## القديس جبريل (إشبيلية)

[ إلى أغسطين فينيوالس ]

— ١ —

طفل جميل في لين الخيزران ،  
كتفان عريضان ، قد رشيق ،  
بشرة كتفاحة ليلية ،  
فم يرتسم عليه الحزن ، وعينان واسعتان .  
عصب من الفضة الساخنة ،  
يذرع الشارع المهجور .  
حذاؤه الأسود اللامع  
يمزق زهور الهواء .  
بإيقاعين يشدوان  
ألحاناً سماوية حزينة .  
على شاطئ البحر  
ليست هناك نخلة تقاربه  
ولا الملك العظيم المتوج  
ولا نجمة الصباح السارية .  
حينما يميل برأسه  
على صدره المصوغ من مرمر مجزع  
فإن ظلام الليل يبحث عن سهول



لأنه يريد الركوع .  
القيثارات تعزف بغير أن يمسه أحد  
من أجل القديس جبريل رئيس الملائكة ،  
مُروّض الحمامات  
وعدو الصفصاف .  
أيها القديس جبريل : الطفل يبكى  
وهو فى بطن أمه .  
لاتنس أن الغجر  
قد أهدوك حلة .

— ٢ —

البشارة بقدوم الملوك السحرة ،  
فى ليلة مقمرة رثة الملابس ،  
تفتح الباب لنجمة الصباح  
القادمة من أعلى الطريق .  
القديس جبريل رئيس الملائكة ،  
حفيد برج الكنيسة الدوّار (١) ،  
كان يدنو للزيارة

(١) برج كنيسة إشبيلية الدوّار الذى يدعى اليوم La Giralda ويعد رمزاً للمدينة هو منارة ( أى مثنّة ) المسجد الجامع الكبير بإشبيلية ، وهى آية من آيات العمارة الأندلسية . وقد بناها مع عمارة الجامع نفسه وتوسعت الخليفة يوسف بن عبد المؤمن سلطان الموحدين فى سنة ١١٨٤ ، وهى الأثر الباقى من المسجد بعد تحويله إلى كنيسة . ويرجع هذه المنارة ليس دواراً على الحقيقة ، وإنما سُمى بذلك من أجل وردة الرياح الدوّارة التى نصبت فى قمته .

مبتسماً بين أزهار السوسن .  
وفى صدره المطرز  
تضطرب صرارات ليل مختفية ،  
ونجوم الليل  
تتحول إلى أجراس صغيرة .  
أيها القديس جبريل : ها أنذا  
ومعى ثلاثة مسامير من الفرح .  
تألقك يفتح الياسمين  
على وجهي الملهب .  
ليحفظك الله أيتها البشارة  
أيتها السمرات العجيبة .  
سيكون لك طفل  
أجمل من قدود النسيم .  
آه أيها القديس جبريل  
يا أعز على من عيني ومن حياتي !  
حتى أحلك ما يليق بك من الكرامة  
أحلم بإجلاسك على كرسي من الفل .  
ليحفظك الله أيتها البشارة  
فى تلك الليلة القمرية رثة الملابس .  
سيكون فى صدر طفلك  
شامة وثلاثة جروح .  
آه أيها القديس جبريل ياذا الألق الساطع  
يا أعز على من حياتي !  
فى أعماق صدرى

يولد اللبن الفاتر .  
ليحفظك الله أيتها البشارة  
يا أم مائة أسرة حاكمة .  
فى عينيك تلتمع مشاهد  
جرداء تموج بالفرسان .

✱

الطفل يغنى  
فى حضن البشارة المندمسة .  
وفى صوته الذى لا يكاد يبين  
تضطرب ثلاث رصاصات من لوز أخضر .

وكان القديس جبريل .  
فى معراجهِ صُعُداً فى الهواء .  
ونجوم الليل  
قد استحالت إلى أزهار خالدة صفراء .

## القبض على أنتونيتو كامبوريو فى الطريق إلى إشبيلية

[ إلى مرجريتا شيرجو ]

«انتونيو توريس إيريديا»  
أبن وحفيد لآل كامبوريو ،  
زاهب إلى إشبيلية لحفلة المصارعة  
وفى يده قضيب من الخيزران .  
أسمر مثل قمر أخضر  
يمضى متهادياً فى رشاقة  
وخصل شعره المدهون  
تلمع بين عينيه .  
وفى منتصف الطريق  
قطف ليمونات مدورة  
ومضى يقذف بها إلى الماء  
حتى أحاله إلى ذهب .  
وفى منتصف الطريق  
تحت أغصان شجرة دردار ،  
قبض عليه جنود الحرس المدنى الجوال  
ومضوا به مأخوذاً بذراعيه .



النهار يمر بطيئاً .  
والأصيل كما لو كان خرقة على كتف مصارع .  
يأتى بحركة مداورة طويلة  
على البحر والأنهار .  
شجر الزيتون ينتظر  
ليلة برج الجدى .  
ونسيم خيلٍ قصير المدى  
يتوثب على جبال الرصاص .  
أنتونيو توريس إيريديا .  
ابن وحفيد لآل كامبوريو  
قادم بغير قضيبه الخيزراني  
بين خمسة من لابسى القبعات المثلثة<sup>(١)</sup> .

أنتونيو ، من أنت ؟  
لو أنك حقاً من آل كامبوريو  
لفجرت نبعاً من دماء  
ذى خمسة مجار منبثقة .  
إنك لست ابناً للآل أحد  
ولا أنت سليل شرعى لآل كامبوريو .  
لقد انقضى عصر الفجر

(١) القبعة المثلثة هي غطاء الرأس لرجل الحرس المنى ، وهي رمز له ، وتعنى « ذات القرون الثلاثة » .

الذين كانوا يوغلون وحيدين فى الجبل !  
والخناجر القديمة  
أصبحت ترتجف تحت التراب

فى الساعة التاسعة مساء  
يذهبون به إلى السجن ،  
بينما جنود الحرس المدنى  
يحتسون جميعاً عصير الليمون .  
وفى الساعة التاسعة مساء  
يقفلون عليه باب الزنزانة ،  
على حين تلتمع السماء  
كأنها أرداف مهر .

## مصرع أنتونيو الكا مبوريو

[ إلى خوسية أنتونيوريو ساكريستان ]

دوَّت أصوات الموت  
قرب « الوادى الكبير » .  
أصوات عتيقة تحاصر  
صوتاً قرنفلياً بين الرجولة .  
كان قد غرس فى أحذيتهم العسكرية  
عضات كأنها من أنياب خنزير جبلى .  
وكانت له فى أثناء الصراع وثبات  
كأنها قفزات دُلفين زلاقة .  
وبدماء أعدائه  
خضب رباط عنقه القرمزى .  
ولكنها كانت أربع طعنات  
وما كان بوسعه إلا أن يهوى قتيلاً .  
وحينما سددت النجوم  
رماحها إلى الماء الرمادى ،  
وكانت الحقول تحلم  
بدوائر من أزهار الخيرى  
دوَّت أصوات الموت  
قرب « الوادى الكبير » .

✱

أنتونيو توريس إيريديا  
سليل آل كامبوريو ، ذوى الأعناق الخشنة ،  
أسمر مثل قمر أخضر ،  
ياذا الصوت القرنفلى : بين الرجولة .  
- من الذى سلبك الحياة  
قرب « الوادى الكبير » ؟  
- أبناء عمى الأربعة من بنى إيريديا  
من قرية « بنا ميخى »  
كانوا يحسدون منى  
مالا يحسدونه من الآخرين .  
الحذاء البنفسجى الداكن  
والتحف المصنوعة من العاج  
وتلك البشرة المعجونة  
من الزيتون والياسمين .  
آه يا أنتونيو الكامبوريو  
يا من كنت جديراً بملكة عظيمة !  
تذكر مريم العذراء  
وأنت موشك على الموت .  
آه يا فيديريكو غرسية  
ناد رجال الحرس المدنى !  
ها هو عودى قد انكسر  
كما لو كان قصبة من الذرة



ثلاث طعنات دامية تلقاها  
وسقط ميتا على أحد جانبيه .  
كان نموذجا حياً  
لا سبيل لأن يتكرر .  
ويأتى ملاك ذابل  
فيضع رأسه على وسادة .  
وآخرون فى حياء قليل  
يشعلون له قنديلاً .  
وحينما يصل أبناء العم الأربعة  
إلى قرية « بنا ميخى »  
صمتت أصوات الموت  
قرب « الوادى الكبير »

- ١٣ -  
الموت حياً

[ إلى مرجريتا مانسو ]

ما هذا الذى يلمع  
فى أعالى الدروب ؟  
أقفل الباب يا ولدى  
فقد أعلنت الساعة الحادية عشرة  
وفى عينى بغير أن أريد  
تلتمع أربعة فوانيس  
لعل أولئك الناس  
ينظفون أدواتهم النحاسية .

\*

ثوم من الفضة المحتضرة  
الهلال الموشك على المحاق  
يضع شعراً مستعاراً أصفر  
على الأبراج الصفراء .  
الليل ينادى مرتجفاً  
زجاج الشرفات ،  
بينما يطارده

ألف من الكلاب التي لاتعرفه  
ورائحة خمر وعنبر  
تنبعث من الدروب .

✱

نسيم آت من القصب المبتل  
وخليط من أصوات قديمة  
كان يتردد عبر الحنّة المكسورة  
من منتصف الليل .  
كانت الثيران والورود نائمة .  
لم يبق في الدروب  
إلا أربعة أنوار تتصايح  
في غضب أشبه بغضب القديس جورج .  
كان هناك نساء حزينات ،  
يُجرّين دمه الرجولى السائل .  
في سكينه كأنه نابع من زهرة مقطوعة مرّة ،  
وهو يتحدر من فخذ الفتى .  
ونساء عجائز قادمات من النهر  
يبكين عند سفح الجبل ،  
في لحظة غير مسلوكة  
من خصل الشعر والأسماء .  
وواجهات منازل من الجير  
كانت ترسم على الليل مربعات بيضاء .  
وطوائف من الملائكة والغجر  
يعزفون على آلات الأكورديون .

أماه ، حينما أموت  
فلتبلى نبأ موتى إلى السادة .  
أرسلى برقيات زرقاء  
تقطع البلاد من الجنوب إلى الشمال .  
سبع صرخات ، سبعة دماء ،  
سبعة منومات مزدوجة ،  
حطمت المرايا المعتمدة  
فى القاعات المظلمة .  
بحر من عبارات التوعد  
كان يهدد متجها إلى حيث لا أدري ،  
وهو ملئ بالأيدى المقطوعة ،  
وأكاليل زهور الموتى .  
وكانت السماء تغلق أبوابها بعنف  
فى وجه عواء الريح القادم من الغابة .  
بينما كانت تتعالى صيحات الأنوار  
فى أعالي الدروب .

## قصيدة المحكوم عليه بالإعدام

[ إلى إميليو ألدريين ]

وحدثني بغير راحة !  
عيون صغيرة لجسمى  
وعيون كبيرة لحصاني ،  
لا تغمض جفونها ليلاً  
ولا تنظر إلى الجانب الآخر  
حيث يبتعد في هدوء  
حلم لثلاثة عشر مركباً .  
أما عيوني فهي نظيفة قوية  
كأنها حراس ساهرون ،  
تتطلع إلى دليل مرشد  
من المعادن والصخور  
حيث جسدي المجرد من العروق  
يستخبر عن مصيري أوراق لعب باردة .

\*

ثيران الماء المكتنزة  
تهاجم الغلمان  
الذين يستحمون في أقمار

قرونها المعوجة  
والمطارق تتغنى  
فوق السّنادين الجواله أثناء النوم  
فى أرق الفارس  
وأرق الفرس

✽

فى الخامس والعشرين من يونيه  
قالوا - « المرّ » :  
الآن يمكن لك إن أردت  
أن تقطع زهور الدفلى فى فنائك .  
ارسم صورة صليب على بابك  
وأكتب تحتها اسمك ،  
لأن أشواكا وسكّعا ساما  
سوف ينبت على جانبيك ،  
وإبراً من الجير المبتل  
سوف يعض بحدائك .  
سيكون ذلك فى الليل ، فى ظلام الليل ،  
فى الجبال الممغنطة  
حيث ثيران الماء  
تشرب قصب الخيزران حاملة .  
اطلب أنواراً وأجراساً ،  
وتعلم كيف تشبك يديك ،  
وتمتع بالهواء البارد  
هواء المعادن والصخور .

لأنك بعد شهرين  
ستدفن ملفوفاً فى كفن .

✱

الخريف يهز فى الهواء  
سيفاً كبيراً من الضباب .  
ومن السماء المجدبة العوجاء  
ينبعث صمت ثقيل .

✱

فى الخامس والعشرين من يونيه  
فتح « المر » عينيه .  
وفى الخامس والعشرين من أغسطس  
اضطجع لكى يغلقهما .  
كان هناك رجال ينزلون إلى الشارع  
حتى يروا المحكوم عليه بالإعدام ،  
الذى كان يثبت على الجدار وحدته  
ويخلد إلى الراحة .  
كانت الملاءة النظيفة  
بنبرتها الرومانية الصلبة  
تقيم توازناً مع الموت  
بأضلاع قماشها المستقيمة .

## قصيدة الحرس الوطنى الإسبانى

[ إلى خوان جُيريرو القنصل العام للشعر ]

سود هي الجياد .  
وسود نعالهن .  
على العباءات تلتمع  
بقع من الحبر والشمع .  
جماجمهم صيغت من رصاص ،  
ولهذا فهم لا يكون .  
هاهم أولاء قادمون فى الطريق  
بأرواح من جلد الأحذية الأسود اللامع .  
هم آتون كأشباح ليلية حدباء .  
حيث يتنفسون تصدر أوامرهم  
بصمت مصنوع من مطاط داكن  
وخوف من دقيق الرمال .  
ويمرون ، حينما يريدون المرور ،  
وهم يغطون رؤوسهم ،  
كأفلاك غامضة  
تدور فيها مسدسات غير محددة .





آه يامدينة الغجر !  
أعلام على نواصى الشوارع .  
القمر والقَرع  
مع ثمرات الكرز المحفوظة .  
آه يامدينة الغجر !  
من الذى رآك ولم يحتفظ بذكر ياتك ؟  
مدينة الألم والمسك  
والأبراج المشيدة من القرفة .

✽

حينما يأتى الليل  
ليل الليلة الليلاء ،  
كان الغجر فى مصاهرهم  
يصوغون شموساً وسهاماً .  
وكان هناك حصان مثخن بالجراح  
يدق على كل الأبواب .  
وديكة من الزجاج تصيح  
فى « شريش » ، شريش الحدود  
الريح تعود عارية  
وناصية الشارع تصيبها الدهشة .  
فى ذلك الليل الفضى  
ليل الليلة الليلاء .

✽

مريم العذراء والقديس يوسف

فقدنا صاجاتهما  
وهما يبحثان عن الغجر  
لعلهما يجدونها .  
العدراء تأتي وهي لابسة  
حلة زوجة حاكم المدينة  
المصنوعة من ورق الشكولاته المفضض  
وقد تحلت بقلائد من حبات اللوز ،  
والقديس يوسف يحرك ذراعيه  
وعليه عباءة من الحرير .  
وخلفهما يأتي بدرودوميك  
ومعه ثلاثة سلاطين من بلاد الفرس  
كان الهلال يحلم  
بنشوة طائر اللقلق .  
بيارق وفوانيس  
تغزو أسطح المنازل .  
وبين المرايا تتنهد  
راقصات بلا أرداف .  
ماء وظلال ، ظلال وماء .  
فى « شريش » ، « شريش الحدود »



آه يامدينة الغجر !  
فى نواصى الشوارع أعلام .  
أطفئوا تلك الأنوار الخضر .  
فرجال الحرس المدنى قادمون .

آه يا مدينة الغجر !

من الذى رآك ولم يحتفظ بذكر ياتك ؟  
اتركوها بعيدة عن البحر ،  
بغير أمشاط تُرجلُ جدائلها .

✱

من الأعماق يتقدمون اثنين اثنين  
نحو المدينة المحتفلة بأفراحها .  
هناك حفيف الأزهار الصفراء  
يغزو الأحزمة المليئة بطلقات الرصاص .  
من الأعماق يتقدمون اثنين اثنين .  
نسيجاً من أزواج ليلية .  
والسماء تبدو لهم  
واجهة زجاجية من مهاميز الخيل .

✱

المدينة وهى متحررة من الخوف  
كانت تضاعف أبوابها .  
ولكن أربعين من رجال الحرس المدنى  
يقتحمونها عنوة عبر تلك الأبواب .  
الساعات توقفت عقاربها  
والكونياك المودع فى الزجاجات  
تنكر فى صورة نوفمبرية  
حتى لا يثير الشبهات .  
وصرخات مستطيلة دَوَّمتْ فى الجو

مثيرة دوائر الريح .  
السيوف تمزق نفحات النسيم  
التي تدوسها خوذات الجنود .  
وفي الشوارع المعتمة  
تهرب الغجريات العجائز  
بشعورهن النائمة  
وحصائل نقودهن .  
وعبر الدروب العالية  
تصعد العباءات المشثومة ،  
تاركة وراءها  
دوامات خاطفة من الريش .

في بوابة بيت لحم  
يتجمع الغجر .  
القديس يوسف وهو مثخن بالجراح  
يلف صبية في كفنها .  
وبنادق حادة تدوى  
بإلحاح طوال الليل .  
العذراء تداوى الأطفال  
بلعابها العلوى .  
ولكن جنود الحرس المدنى  
يتقدمون وهم يبذرون الحرائق  
حيث يحترق الخيال  
الفتى العارى .  
« روسا » ابنة آل كامبوريو

تطلق الزفرات وهى جالسة على باب دارها ،  
ونهداها مقطوعان  
وموضوعان على طبق .  
وصبايا أخريات كن يجرين  
ومطار دوهن يشدونهن من صفائهن ،  
فى جو تتفجر فيه  
ورود من بارود أسود .  
وحيثما تحولت الأسطح  
إلى شقوق فى الأرض  
هز الفجر كتفيه  
فى صورة جانبية من حجارة .

✱

آه يامدينة الغجر !  
جنود الحرس المدنى يبتعدون  
فى نفق من الصمت  
بينما السنة الالهيب تشد حولك الحصار .

آه يامدينة الغجر !  
من الذى رأك ولم يحتفظ بذكر ياتك ؟  
ابحثوا عنها فى جيبينى .  
لعبة القمر والرمال .

- ١٦ -

## ثلاث قصائد تاريخية استشهاد القديسة أوليا

[إلى رافاييل مرتينث نادال]

- ١ -

### منظر شامل لمدينة « ماردة »

فى الطريق يجرى ويتوثب  
حصان ذو ذنب طويل ،  
بينما جنود روما الكبار  
يلعبون أو يُرْتَقُ النوم فى عيونهم .  
نصف الجبل حيث معابد « مينرثا » ،  
يفتح أذرع شجره العارية من الورق  
والمياه المتحدرة تذهب حواف الصخور .  
كانت ليلة الظهور المدفونة  
والنجوم ذوات الأنوف المجدوعة ،  
ليلة تنتظر شقوق الفجر  
حتى ينهار جميعها .  
ومن حين لآخر كانت تنطلق فى الجو  
عبارات تجديد ذات عُرف أحمر .  
وعند كل أنثى من الصبية القديسة  
كان زجاج الكئوس يتحطم .  
عجلة المسن تشحذ خناجر  
وخطا طيف ذات حنايا حادة .

ثور السنادين يخور ،  
و « ماردة » تتخذ لها تاجاً  
من الزنايق الموشكة على التفتح  
ومن أغصان العُلُق .

## الاستشهاد

نباتات عارية تصعد  
على مدارج الماء .  
القنصل يأمر بطبق كبير  
لنهدى أولاليا .  
خيط دماء من العروق الخضر  
ينبتق من الزُّور .  
وفرجها المشتبك يرتعش  
كأنه طائر يضطرب بين الأشواك .  
وعلى الأرض تتوثب يداها المقطوعتان  
فى حركات عشوائية على غير هدى ،  
وهما لاتزالان قادرتين على التشابك  
فى صلاة مقطوعة الرأس .  
وفى ثقبى الصدر المخضبين  
حيث كان النهدان  
ترى سماوات صغيرة  
وجداول من لبن أبيض .  
ألف شُجيرة من الدماء



تغطي ظهرها كله ،  
وتتنصب جذوعاً مبتلة  
لمشارط السنة اللهب .  
ضباط رومانيون صفر  
بأجسادهم الرمادية الأرقه  
يمضون صُعُداً  
بدروعهم السابغة الفضية .  
وبينما تخفق فى اضطراب  
آلام تنبعث بين الأعناق والسيوف ،  
يأتى القنصل حاملاً فى طبق كبير  
نهود أولاليا التى ينبعث منها الدخان .

## جحيم ومجد

الجليد المتموج ساكن .  
أولاليا متدلّية من شجرة .  
وجسدها العارى المتفحم  
يصبغ بالسواد الهواء الجليدى .  
الظلام المتوتر يلمع  
وأولاليا جسدميت متدلّ من شجرة .  
محابر المدن  
تسكب مدادها فى بطاء .  
وصفوف من لابسات السواد  
كأنهن عارضات أزياء  
يغطين جليد الحقل ،  
وهن يقطعن الصمت الأشوه بالأنين .  
الجليد يشرع فى التمزق  
وأولاليا البيضاء متدلّية من شجرة  
ومسامير من النيكل  
تغرس أطرافها فى جنبها .

\*

مَلَكٌ حارسٌ تتألق صورته  
على السماء المحترقة ،  
بين مخانق الجداول  
والبلابل على الأغصان .  
وترتفع في الجو قطع من الزجاج الملون !  
أولاليا تتحول إلى بياض في بياض  
الملائكة تصدح بالترتيل :  
قدوس ، قدوس ، قدوس !

## قصيدة ساخرة من السيد بدرو الفارس ( قصيدة ذات فجوات )

[ إلى جان كاسو ]

عبر الدرب الضيق  
كان السيد بدرو قادماً .  
آه ! لهفى على هذا الفارس  
وهو يبكى بمرارة !  
كان ممتطياً صهوة جواد  
سريع بغير لجام .  
وكان قادماً  
ليبحث عن الخبز والقبلة .  
كل نوافذ المنازل  
تسائل الريح  
عن ذلك البكاء الغامض .  
الذى أنخرط فيه الفارس .

## الفجوة الأولى

تحت الماء  
تتواصل الكلمات .  
وفوق الماء  
قمر مستدير  
يستحم ،  
وكأنه يغيظ قمراً آخر  
فى أعالى السماء !  
وعلى الشاطئ  
طفل  
يرى القمرين فيصيح :  
أيها الليل ، أسمعنا رنين الصنَّجَيْن !

يتبع

وصل السيد بدرو  
إلى مدينة بعيدة .  
مدينة من الذهب  
فى وسط غابة من شجر الأرز .  
ترى هل هى « بيت لحم » ؟  
فى الهواء شذى أزهار الليمون  
وإكليل الجبل .  
سطوح المنازل والسحب تلتمع .  
والسيد بدرو يمر من الحنايا المتهدمة .  
أمرأتان ورجل عجوز  
يخرجان للقائه  
ومعهم قناديل من فضة .  
أشجار الحور تقول : لا .  
والبلبل يقول : سوف ترى .

## الفجوة الثانية

تحت الماء  
تتواصل الكلمات .  
وعلى الماء المتموج  
دائرة من الطيور وألسنة اللهب .  
وفى حقول قصب السكر  
شهود يعرفون ما هو غائب .  
حلم معين بغير دليل  
من خشب قيثاره .

يتبع

فى الطريق  
أمرأتان ورجل عجوز  
بقناديل من فضة  
زاهبون إلى المقبرة .  
وبين أزهار الزعفران  
وجدوا الجسد الميت  
لحصان السيد بدرو  
ذى اللون الداكن .  
وفى السماء كان يتردد  
صوت الأصيل الخفى .  
وخرتيت الغياب  
يكسر قرنه فى الزجاج .  
المدينة الكبيرة البعيدة  
تحترق .



وفى داخلها  
رجل يمضي باكياً .  
فى الشمال هناك نجمة  
وفى الجنوب بحار .

## الفجوة الأخيرة

تحت الماء

تتواصل الكلمات .

ركام طيني من أصوات تائهة .

على الزهرة المائلة للبرودة ،

السيد بدرو المنسيّ

آه ، يلاعب الضفادع .

## ثامار وأمنون

[ إلى ألفونسو غرسية بالديكاساس ]

القمر يدور فى السماء  
على أراضٍ بلا ماء ،  
بينما يبذر الصيف  
مزيجاً من السنة اللهب وزئير النمر .  
من فوق السقوف  
كانت ترن عروق من المعدن .  
وكان هناك هواء مجعد  
يأتى بثغاء الصوف .  
الأرض تبدو مليئة  
بجروح مندملة ،  
أو مرتجفة من جرأ مكاف حادة  
تنبثق من قروحها أنوار بيضاء

✱

كانت ثامار تحلم

بعضافير في حنجرتها ،  
على وقع دقات دفوف باردة  
وقيثارات ذات شكل قمرى .  
ثامار ترقد عارية على إفريز السطح ،  
جسدها محط عيون النخيل .  
وهى تطلب نُدْفاً من الثلج لبطنها .  
وقطعاً من البرد لظهرها .  
كانت ثامار تغنى  
وهى عارية فى الشرفة ،  
وحول قدميها  
خمس حمائم جليدية .  
أمنون بجسده النحيف  
كان ينظر إليها من أعلى البرج ،  
ومنبت فخذه قد ملأهما الزبد  
ولحيته ترتعش فى أمتياج .  
كان الضوء يبرز جسدها ،  
وهى متمددة فى الشرفة ،  
وبين ثناياها فى انفراجة ثغرها  
سهم أطلق عليها منذ لحظة .

فى ضوء البدر المتدلى من فلكه ،  
كان أمنون يحدد فى الجسد العارى ،  
ويرى تحت الضوء المنسكب  
نهدي أخته المكتنزين .

✱

فى الساعة الثالثة والنصف  
استلقى أمنون على فراشه .  
كان المخدع كله  
يعانى من نظراته المليئة بالأجحة .  
الضوء المصمتُ  
يدفن القرى فى الرمال الشهباء .  
أو يكشف فى طريقه  
عن مرجان من ورود وأزهار داليا .  
وماء ينبثق من بئر أحكم سدها ،  
فيرشح فى صمت من الجرار .  
بين طحالب جذوع الشجر  
تغنى حية الكوبرا المتمددة .  
أمنون يطلق زفرات حارة  
على الفراش البارد .

وأغصان لبلاب من القشعريرة

تغطى لحمه المحترق .

وتدخل ثمار فى خفوت

إلى المخدع الذى يلفه الصمت ،

وهو بلون العروق الزرقاء

تعكره آثار بعيدة .

– ثمار ، أمسحى على عينيّ

بفجرك الراسخ .

إن خيوط دمائي

تنسج دوائر حول ذيل ثوبك .

– دعنى هائلة ياأخى ،

فإن قبلاّتك على ظهري

كلسعات زنابير أو لفحات ريح

محملة بأسراب من النايات .

– ثمار ، فى نهديك الشاخصين

سمكتان مستقرتان ،

وفى أطراف أصابعك

حفيف وردة لم تتفتح

\*

## جياذ الملك المائة

كانت تصهل فى الفناء .

وكانت شجرة الكرم بخصورها النحيلة

تقاوم رماح أشعة الشمس .

ها هو يقبض على شعرها

ويمزق عنها قميصها .

ومرجانات فاترة ترسم

جداول على خريطة شقراء

✱

آه أى صرخات كانت تُسمع

فوق سطوح المنازل !

يا هذا العدد الكثيف من الخناجر

والجيوب المشقوقة !

وعلى سلالم الدرج الحزينة

عبيد يصعدون ويهبطون .

ومن حول ثمار

تتصايح عذارى غجريات ،

بينما تلتقط صبايا أخريات

قطرات من زهرتها الشهيدة .

وخرقُ بيضاء تختضب بالحمرة  
فى المخادع المغلفة .



مغتصب أخته قد استبد به الهياج ،  
أمنون يهرب على ظهر فرس .  
ومن الأسوار والأبراج  
عبيد سود يرشقونه بالسهام .  
وحيثما لم يبق من الحوافر الأربعة  
إلا أربعة أصداء ،  
أشرع داود مقصه  
وقطع أوتار قيثارته .





## الفهرس

5	- تقديم .....
	- الفصل الأول ( لوركا : حياته ، آثاره ،
7	فلسفته الجمالية ) .....
29	- الفصل الثاني ( أربعة دواوين للوركا )
83	( ١ ) الأغاني الأولى ( ١٩٢٢ ) .....
105	( ٢ ) أغاني ( ١٩٢١ - ١٩٢٤ ) .....
233	( ٣ ) الغناء العميق « الأندلسي » ( ١٩٢١ )
317	( ٤ ) الديوان الغجري ( ١٩٢٤ - ١٩٢٧ )

## المشروع القومى للترجمة

١ - اللغة العليا	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ - الوثنية والإسلام	لـ ماهر باتيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣ - التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقي جلال
٤ - كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتكوفا	ت : أحمد الحضري
٥ - ثريا في غيبوبة	إسماعيل قصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ - اتجاهات البحث اللساني	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولمان	ت : يوسف الأنطكي
٨ - مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ - التغيرات البيئية	أندرو مـ. جودي	ت : محمود محمد عاشور
١٠ - خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد مقصم وعبد الجليل الأزني وعمر حلي
١١ - مختارات	فيسوفا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ - طريق الحرير	بيفيد براونستون وإيرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ - بيانة الساميين	روبرتسمن سميت	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ - التحليل النفسي والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المورين
١٥ - الحركات الفنية	إدوارد لوس سميت	ت : أشرف رفيق عفيفي
١٦ - أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : لطفي عبد الوهاب / فاروق القاضى / حسين الشيخ / منيرة كروان / عبد الوهاب علوب
١٧ - مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوي
١٨ - الشعر النسائي في أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ - قصة العلم	جـ. جـ. كرلوث	ت : يعنى طريف الخولي / بدوي عبد الفتاح
٢١ - خوذة وألف خوذة	صمد بهرنجي	ت : ماجدة العناني
٢٢ - منكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد علي الناصري
٢٣ - تجلى الجميل	هاتز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ - ظلال المستقبل	باتريك بارنتر	ت : بكر عباس
٢٥ - مشوى	مولانا جلال الدين الرومي	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦ - بين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ - التنوع البشري الخلاق	مقالات	ت : نخبه
٢٨ - رسالة في التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ - الموت والوجود	جيمس بـ. كارس	ت : بتر الديب
٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢)	لـ ماهر باتيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الطوجي / عبد الوهاب علوب
٣٢ - الانقراض	بيفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمي
٣٣ - التاريخ القومى لإفريقيا الغربية	أـ. جـ. هويكنز	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣٤ - الرواية العربية	روجر آلن	ت : د. حصة إبراهيم المنيف

٢٥ - الأسطورة والحدائق	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت
٢٦ - نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٢٧ - واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٢٨ - نقد الحدائق	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٢٩ - الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ - قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ - ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عطف نعد / إبراهيم قحى / محمود ملج
٤٢ - عالم ماك	بنجامين بارير	ت : أحمد محمود
٤٣ - الذهب المزدوج	لوكتافيو بات	ت : المهدي أخريف
٤٤ - بعد عدة أسياف	ألنوس فكسلي	ت : مارلين تانرس
٤٥ - التراث المغفور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ - عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد علي
٤٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ - حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتي
٤٩ - الإسلام في البلقان	ه . ت . توريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد يرادة وعشاني الميود يوسف الأطكى
٥١ - مسار الرواية الإسبانية الأمريكية	داريو بيانوييا وخ . م بينيا ليمتي	ت : محمد أبو العطا
٥٢ - العلاج النفسي التدميمي	بيتر . ن . نوقاليس وستيفن . ج . روجس فيتزر وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣ - الدراما والتعليم	أ . ف . ألتجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ - المفهوم الإغريقي للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحي
٥٥ - ما وراء العلم	جون بولكجهوم	ت : علي يوسف علي
٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود علي مكي
٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطي
٥٨ - مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ - المحبرة	كارلوس مونيث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ - التصميم والشكل	جوهانز ايتن	ت : صبرى محمد عبد الفتى

## ( زجت الطبع )

تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢)  
تاريخ النقد الأدبي الحديث (٣)  
المختار من نقد ت . س . إليوت  
ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية  
خمس مسرحيات أندلسية  
السياسي العجوز  
تاريخ السينما العالمية  
منصور العلاج  
نتاشا العجوز وقصص أخرى  
السيدة لا تصلح إلا للرمي  
العالم الإسلامي في أوائل القرن العشرين  
الهم الإنساني

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

---

رقم الإيداع ١٤٥٧٣ / ١٩٩٨







# PRIMERAS CANCIONES CANCIONES POEMA DEL CANTE JONDS ROMANCERO GITANO

فريدريك غرسيه لوركا (١٨٩٨ - ١٩٣٦)، الغرناطي المولد والوفاة، هو أشهر شعراء إسبانيا وأذيعهم صيتاً في وطنه وفي العالم الناطق بالإسبانية، خلال القرن العشرين، بل إن شهرته تجاوزت حدود هذا العالم فأصبح أكثر شعراء الإسبانية حظوة من المترجمين إلى مختلف اللغات. وقد يكون من عوامل تلك الشهرة مصرعه المأساوي في بداية الحرب الأهلية الإسبانية، إذ طالما اتخذ هذا المصراع شعاراً سياسياً وإيديولوجياً على نحو مبالغ فيه. غير أن الذي لا شك فيه هو أن شهرة لوركا ترجع إلى قيمة نتاجه الشعري الغنائي والمسرحي، على الرغم من قصر حياته الأدبية التي لم تتجاوز خمسة عشر عاماً، ومع كونه برز في جيل حفل بعدد من أعلام شعراء إسبانيا، ومع ذلك فقد سلّم له معاصروه بالإمامة الشعرية بغير منازع.

لوركا ينتمي إلى الجيل المرتبط بسنة ١٩٢٧، وهو مجموعة من شعراء الشباب الذين وصلوا حركة التجديد الشعري التي بدأها من قبل «شعراء الحداثة» ثم جيل ١٨٩٨، حتى بلغوا بهذا التجديد ذروته سواء في الموضوعات أو اللغة أو الصورة الشعرية.

في هذا المجلد نقدم ترجمة عربية كاملة لأربعة دواوين لوركا تمثل تطور فنه خلال فترة من أخصب حياته الشعرية بين سنتي ١٩٢١ و ١٩٢٧، ونرجو أن نكون قد ساهمنا به في إحياء الذكرى المئوية لمولد هذا الشاعر الذي كان له تأثير كبير في شعرنا العربي المعاصر، مشاركين في الاحتفاء المقامة بهذه المناسبة في إسبانيا، ذلك البلد الصديق الذي تربط به صلات ثقافية وثيقة، ممقّدة من الماضي إلى الحاضر.